المحور الأول

السلوك المالي للنساء وانعكاساته الاجتماعية والاقتصادية والنفسية

فضاء للعيش أم فضاء للقوة:
عالم النقود لدى المرأة المصرية العاملة

أحمد زايد

أولاً : المشكلة

ثمة نظرة تقليدية لعلاقة المرأة بالنقود، ترتبط بنظام تقسيم العمل فى الأسرة الذى يقوم فيه الرجل بالأعمال الخارجية، والتى تتعلق بشكل أكبر بتدبير الموارد المالية للأسرة وإدارتها، وتقوم المرأة بالأدوار المنزلية التى لا ترتبط بالضرورة بتدبير الموارد المالية أو إدارتها، ومن هنا تطورت النظرة إلى الرجل بوصفه المسيطر على الموارد المالية والمتحكم فيها، وإلى المرأة بوصفها المستقبلة للموارد المالية والمتصرفة فيها. ثمة عالمان هنا، عالم الإنتاج الذى يرعاه الرجل ويتحكم فيه، وعالم الاستهلاك الذى ترعاه المرأة وتتحكم فيه، بتوجيه من الرجل طبعاً، ومن هنا نبعت كل الثنائيات التى شكلت النظرة إلى المرأة : الداخل والخارج؛ البيت والعمل؛ الأعمال الإنتاجية والأعمال المنزلية؛ الأدوار المنزلية والأدوار الإنتاجية. ولكن هذه النظرة التقليدية للمرأة بعامة وعلاقتها بالنقود بخاصة ما لبثت أن تغيرت على أثر مكتشفات ميدانية ونظرية منها:

(١) إن المرأة فى المجتمعات التقليدية كانت لديها قدرة على إدارة النقود، وعلى تدبير الموارد، بل على استثمار النقود وادخارها. فثمة

دراسات عديدة أجريت فى إطار مجتمعات تقليدية – كالمجتمع الإسلامى فى زمن الإمبراطورية العثمانية – أكدت أن بعض النساء كان لديهن القدرة على إدارة موارد مالية كبيرة، بل وتشغيل الرجال وإدارة أمورهم. حقيقة أن هذه الدراسات قد أكدت على أن الرجال يتفوقون على النساء فى مقدار الثروة أو الملكية، وأن النساء حرمن من حيازة أنواع معينة من الملكية شأن الأرض أو الملكيات التجارية. ولكن هذا لم يمنع من وجود مساحة تستطيع فيها النساء استخدام ما لديهن من موارد (اجتماعية أو ثقافية أو اقتصادية) فى اكتساب بعض السيطرة على حياتهن والمواقف المحيطة بهن. ومن هنا ظهرت بعض النساء «... كصاحبات أدوار فى الحياة الاقتصادية؛ إذ اشترين الأملاك وبعنها، وورثن الثروة وأوصين بها، وأسسن «الوقفيات»، واقترضن مالا وأقرضنه، بل وفى بعض الأحيان كن حائزات للـ «تيمار» ولحقوق الانتفاع بأرض «الميرى» واستأجرن المزارع ودخلن شريكات فى أعمال التجارة... ونشأ بلوغهن الثروة من خلال الميراث والصداق وحقوق المستفيدات من الهبات الدينية، وكثيرات منهن اضطلعن بدور فعال فى إدارة الثروة واستثمارها بعد أن حُزن الملكية، وفضلا عن ذلك ظهرت فاعليتهن فى تأهبهن للمطالبة بحقوقهن فى الملكية وللاحتجاج على أى انتهاك لتلك الحقوق»[(١)].

(٢) ومن جانب آخر ، أكدت البحوث الحديثة أن مشاركة المرأة فى تقسيم العمل المنزلى لا يجب بالضرورة أن تنعكس فى شكل نقدى. فثمة أعمال كثيرة تقوم بها المرأة، وهى تعكس قيمة مادية، ويمكن حسابها نقديا، ولكنها لا تتقاضى عليها أجراً. من هذه الأعمال صنوف كثيرة من الأعمال المنزلية، وصنوف كثيرة من الأعمال خارج المنزل، كالعمل فى الحقل، والذهاب إلى الأسواق، وتسويق المنتجات، وشراء السلع. وتعكس هذه الأنشطة مشاركة اقتصادية حقيقية من جانب المرأة فى الأسرة، وقد تكسبها بعضا من المكانة والقوة، كما تتبدى فى مشاركتها فى صناعة القرار داخل الأسرة، ومشاركتها فى إدارة الميزانية الأسرية، وتصريف الأمور المادية اليومية[(٢)]. والفكرة المحورية التى يمكن أن تشتق من مثل هذه الدراسات هى

(١) جوديث تاكر ومارجريت مريوذر، **النساء والنوع فى الشرق الأوسط الحديث**، ترجمة أحمد على بدوى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ٣٣.

(٢) انظر الدراسات التى وردت فى الكتاب الذى حرره ريتشارد انكر والذى نشر بالعربية بعنوان: «**المرأة والمشكلة السكانية فى العالم الثالث**»، ترجمة علياء شكرى وآخرين، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٥.

أن قوة المرأة لا يجب بالضرورة أن ترتبط بالنقود، أو السيطرة عليها، خاصة عند مستويات دخل معينة. ففى الأسر التى تحتاج إلى هذه الصور من الأعمال غير المأجورة للمرأة، والتى لا يمكن للأسرة أن تستغنى عنها ، تكتسب المرأة قدرا لا بأس به من القوة والمكانة. ولقد تدعمت هذه النتيجة من خلال دراسات أخرى حول إدارة المرأة للأسرة فى حالة غياب زوجها بالمرض أو الهجرة أو الموت، ففى هذه الحالات تمتد قوة المرأة من داخل الأسرة إلى خارجها، وتصبح حركتها داخل المجتمع المحلى، وعبر النطاق المحلى، أكثر كثافة وعمقاً[٣].

فى ضوء هذه النتائج، لم تعد هذه القسمة بين العالم الخارجى الذكورى، والعالم الداخلى الأنثوى قسمة مقبولة، كما أصبحت علاقة المرأة بعالم المال والأعمال الاقتصادية علاقة أكثر تعقيداً من أن ينظر إليها فى ضوء الأجر العائد من العمل المباشر للمرأة. ولقد ساهمت الدراسات المعاصرة فى بلورة هذه النتيجة وأحكامها؛ فالعلاقة بين المرأة وعالم المال، تستغرق عدداً كبيراً من المتغيرات، وهى ليست بالضرورة علاقة مباشرة. ومن ثم فقد يكون مفيداً أن نعرض لنتائج بعض البحوث المعاصرة التى تلقى الضوء على عدد من المتغيرات الفاعلة فى هذه العلاقة:

فمن ناحية تؤكد البحوث النابعة من «**نظرية التبادل**» أن النقود تعد مصدراً أساسياً لقوة المرأة ومكانتها داخل الأسرة. وتتأسس هذه البحوث على فكرة مؤداها أن العلاقة بين الزوجين تقوم على استراتيجيات تفاعلية يستخدم فيها كل طرف ما لديه من موارد. وتتعاظم منافع الفرد كلما كان قادراً على استخدام ما لديه من موارد استخداماً أمثل. تلك الموارد التى تنقسم إلى قسمين : موارد خارجية (ذرائعية) كالحالة الاقتصادية (بما فيها ملكية النقود)، والمهنة، والمكانة الاجتماعية؛ والموارد الداخلية (أو غير الذرائعية) والتى ترتبط بالخصال الشخصية، والقدرة على الحب والعاطفة والجاذبية، والقدرة على التوافق مع الأدوار المتوقعة. وبالرغم من أن

(٣) أنظر حول تأنيث الأسرة أو تأنيث الفقر Feminization of Porverty:

– إيمان سليم، تأنيث الفقر، بحث منشور ، المؤتمر الثانى بكلية التجارة «بنات» بجامعة الأزهر، ١٩٩٨.

– نهى فاطرجى ، الأوضاع السيئة للمرأة فى العالم، متاحة على الموقع الإلكترونى :
http://www.amanjordan.org/anon_studies/wmview.php?Arsto:957.

- Wittekind, J. & Wilke, S. Feminization of Poverty in the Labor Force:1980-1998, Journal of the Alabama Academy of Science, vol.1, October 2000.

بحوث نظرية التبادل تبرز أهمية الجوانب الشخصية والإنسانية كموارد فى عملية التفاعل، إلا أنها تنظر إلى الموارد الاقتصادية باعتبارها مصدراً أساسيا للقوة والمكانة فى علاقة الرجل بالمرأة(٤).

ومن ثم تقدم نظرية التبادل نموذجاً عقلانياً، يطرح العلاقة بين الرجل والمرأة على أنها تتأسس على تبادل المصالح، وهى علاقة غالباً ما تقوم على المحاسبة والاختيار الحر والفعل الرشيد. وهى علاقة هدفها تحقيق أعلى درجة من الفائدة وأقل درجة من الخسارة، فبالرغم من أن الرجل والمرأة داخل الأسرة يدركان المنفعة ويسعيان إليها، إلا أن كلا منهما يدرك أهمية وجود الآخر ويتصرف تجاهه فى ضوء المعايير العامة. فهى علاقة لا تخلو من تبادل المنافع وحساب التكلفة والعائد، ومقارنة البدائل المتاحة التى تدفع كل طرف فى التفاعل (الزوج والزوجة) إلى اختيار نمط السلوك الذى يسير عليه. وفى هذه الحالة – التى تبدو كنموذج مثالى – يكون للنقود دور هام فى تحديد نمط التفاعل داخل هذه العلاقة؛ فالنقود كوسيط تبادلى تمنح من يسيطر عليها – إدارة أو ملكية – مساحة أكبر من القوة والقدرة على التأثير وعلى تملك أدوات للقهر أو المنح أو المنع أو التسلط أو التحكم أو التأثير، ومن هنا تحرص نظرية التبادل على تأكيد فكرة أن أطراف التفاعل يتنافسون تنافساً شديداً فى تملك الموارد أو السيطرة عليها، وأن التفاعل التبادلى – فى صورته المثالية– قد لا يسمح لأحد بالسيطرة على الأطراف الآخرين.

ومع ذلك يبقى هذا النموذج العقلانى فى التفاعل نمطاً مفارقاً للواقع، يستمد قيمته من قيمة المنهجية وليس من تراثه النظرى. فهو يمكننا من أن ننظر فى الواقع لنرى إلى أى مدى يقدم هذا الواقع أمثلة للاختلاف أو الاتفاق. كما يستمد هذا النموذج العقلانى أهميته أيضا من قيمته التطبيقية؛ فالفكرة التى تقوم عليها نظرية تمكين المرأة – الفقيرة اقتصادياً والضعيفة ثقافياً – تعتمد على تنمية القدرات التى تجعل المرأة مستقلة. ومن أهم هذه القدرات: قدرتها على التحكم فى مواردها، والتحكم فيما تحصل عليه من دخل، وقدرتها على إيجاد وسائل لحماية استقلالها

(٤) انظر حول نظرية التبادل :

- Russell Cropanzano, "Social Exchange Theory", **Journal of Management,** vol.31, No.6, pp.874-900 (2005).
- Peter Michael, **"Exchange and Power in Social Life",** New Brunswock : Transaction Books, 1986.

وتحكمها فى الأمور التى تتعلق بذاتها. وتفترض نظريات التمكين أن هذا الاستقلال الاقتصادى، والقوة الاقتصادية للمرأة، يُمكّنانها من الاستفادة بشكل أكبر من خدمات الصحة والتعليم ومن القدرة على المشاركة الاجتماعية. ولقد أكد تقرير التنمية الإنسانية العربية «نحو نهوض المرأة فى الوطن العربى» هذه الفرضية عندما قرر «إن اكتساب النساء للقدرات البشرية شرط لازم لتوظيف القدرات فى إنتاج مقومات الرفاه الإنسانى، ولكنه بالتأكيد غير كاف. فهناك أدلة على بقاء قدرات النساء معطلة نتيجة للعديد من العوامل الثقافية والاجتماعية. ولعل إفساح المجال للنساء المساهمة فى النشاط الاقتصادى خارج نطاق الأسرة يكون أحد الحلول الأساسية لتمكين المرأة»(٥).

وإذا سلمنا بهذا النموذج النظرى لقلنا مباشرة إن تملك المرأة للنقود من مصدر دخل خاص يترتب عليه مباشرة منحها فضاءً للقوة والاستقلال. وتلك قضية نحاول فى هذا البحث أن نطورها من خلال القول بأن فضاء القوة هذا ليس هدفاً فى حد ذاته، وإنما هو وسيلة لخلق فضاء آخر للعيش ولاستمرار حياة الأسرة. بل إن فضاء العيش قد يسبق فضاء القوة فى ضوء الظروف الثقافية والاقتصادية التى تعيش فيها المرأة، خاصة تلك التى تعيش فى كنف صور الحداثة الطرفية التى ما تزال تتعايش فيها أنماط وقوالب ثقافية جامدة حول مكانة المرأة، والتى ما تزال تعايش صوراً من الاقتصاد المعيشى الذى يفرض على المرأة صوراً من العمل الشاق، والتى يختنق فيها النمو الاقتصادى والاجتماعى فيفرض ضغوطاً متنامية من الفقر والتهميش وصوراً مختلفة من الحرمان.

فى هذا الظرف قد تختلف علاقة المرأة بالمال عن هذا النموذج المثالى. قد تكون النقود وسيلة لاستمرار الحياة والتخفيف من عبء الحرمان، ومواجهة الظروف الاقتصادية الصعبة، وفى هذه الحالة يصبح تفسير العلاقة بين القوة وبين الاستقلال وبين تملك المرأة للنقود محل مراجعة، أو قل محل تطوير . وقد أكدت البحوث التى أجريت على المستويين العالمي والمحلى شرعية هذه المراجعة.

(٥) تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام ٢٠٠٥ «**نحو نهوض المرأة فى الوطن العربى**»، برنامج الأمم المتحدة الانمائى، الصندوق العربى للإنماء الاقتصادى والاجتماعى، برنامج الخليج العربي لدعم منظمات الأمم المتحدة الانمائية، ص ٢١٥.

١- فعلى المستوى العام ظهرت فروض حول طبيعة القوة التى يمكن أن تتولد من خلال حيازة النقود أو إدارتها، وارتبطت هذه الفروض بالدراسات المتعلقة بميزانية الأسرة والتحكم فى الإنفاق. ومن أهم الأفكار فى هذا الصدد ما طرح حول نسبية القوة أو إطلاقها. فالقوة داخل الأسرة ليست كماً يتم احتكاره، بل يمكن التفرقة بين مستويات منها. من ذلك – على سبيل المثال – التفرقة بين القوة التنسيقية Orchestration power والقوة التنفيذية Implementation power على اعتبار أن النمط الأول يرتبط بالقوة الإشرافية والإدارية، التى تؤثر تأثيراً كبيراً فى تحديد مسار الأسرة وأسلوب حياتها وخصائصها ومسار القرارات داخلها، ويعد هذا نمطاً من القوة يرتبط بتنظيم حياة الآخرين . أما النمط الثانى فإنه يرتبط بالقوة المتعلقة بتنفيذ القرارات، وغالباً ما تمنح هذه القوة لاصحابها قدراً من الحركة ومن التأثير فى مجريات الأمور داخل الأسرة. ويتوزع نمطا القوة على هذا النحو لا وفقاً للتحكم فى الموارد فقط، ولكن وفقاً لطبيعة العلاقة بين أفراد الأسرة، ونظام تقسيم العمل داخل الأسرة، وغالباً ما يقوم توزيع الأدوار عبر هذا النمط داخل الأسرة على ضرب من الاتفاق، وليس على ضرب من الصراع(٦). وثمة فروض أخرى ترتبط بالفصل بين كسب النقود وإدارتها داخل الأسرة. فالظروف التى تهيئ لعضو فى الأسرة الفرصة لإدارة النقود قد ترتبط بخصائص أبعد من حيازته لها، كالسن والخبرة الشخصية، بجانب دوره فى توليد هذه النقود بطبيعة الحال. وفى ضوء ذلك تفرق البحوث بين أنماط مختلفة لإدارة النقود؛ قد يسيطر فيها الرجل أو المرأة، وقد لا يسيطر فيها أى منهما عبر نمط ثالث يُعرف بالإدارة الجماعية لميزانية الأسرة، وهو النمط الأكثر شيوعا فى الأسر العاملة(٧). على أن هذه الإدارة الجماعية لا تمنع كل طرف من توجيه ما تحت يده من نقود إلى الاهتمامات الخاصة به: وتطور البحوث هنا فرضية هامة مفادها أن اهتمامات المرأة فى انفاق ما تحت يديها من

(٦) Safilios Rothschild, "A Macro and Micro-Examination of Family Power and Love", **Journal of Marriage and the Family**, vol.37, pp.355- 362, 1976

(٧) - Fronces Woolly & Marshall Judith, "Measuring Inequality within the Household" **Review of Income and Wealth**, 40 (4), 415-431, 1994.

- Frances, Woolley, "Control Over Money in Marriage", **Journal of Socio-Economics,** vol.37 (2), 592-611, April 2008.

- Woolley, "Why pay child benefits to mothers?", **Canadian Public Policy,** 30 (1), 47-90, 2004.

نقود يتجه إلى الأطفال، وإلى تحسين الخدمات التى تحصل عليها الأسرة. فجل اهتمام المرأة ينصب – فى حالة ما إذا زاد دخلها أو دخل الأسرة – على الأطفال، فى حين ينصب جل اهتمام الرجل على أموره الشخصية مثل التدخين والملابس(٨). ففضاء للعيش إذن، ولاستمرار الحياة كنتيجة لحيازة النقود من قبل المرأة.

٢- وعلى المستوى المحلى تركز الدراسات العربية على استمرار السياق الثقافى الذى يحدد للمرأة صورة خاصة ووضعاً خاصاً، رغم التغيرات التى طرأت على المجتمع، والتى جعلت المرأة أكثر استقلالا وأكثر سيطرة على الموارد الاقتصادية. فثمة تأكيد على أن المرأة أصبحت شريكة فى حياة الرجل الاقتصادية، وهى تساهم مساهمة فعالة فى مساعدة الزوج مادياً وفى تقديم العون للعائلة. ومع ذلك فإن المرأة –خاصة العاملات فى مهن متوسطة وهامشية – تعيش واقعاً قد لا يمنحها استقلالا اقتصادياً؛ فما تزال السلطة الذكورية بمفهومها التقليدى عائقاً أمام تحقيق الأوساط المتوسطة من التعليم والأوساط الأمية، لاستقلالها الاقتصادى، هذا فضلا عن تعذر تكوين أسر نووية مستقلة اقتصادياً، حيث تضطر نسبة كبيرة من الأسر (المغربية) لمساعدة المرأة لعائلتها الأبوية(٩). وحتى إذا ما حققت المراة قدرا من الاستقلال المادى، وإرادة التحكم فى دخلها، فإن ذلك يجب أن يحاط بإطار ثقافى لا يقلل من شأن الرجل أو أن يحط من مكانته وقد أكدت البحوث المصرية هذه الفرضية حيث أكدت دراسة أجريت فى الثمانينات على أن الدخل الذى يرد إلى المرأة من عمل ثابت تؤديه، خاصة الوظيفة الحكومية، يخضع لإرادتها، وثمة تأكيد على أن المرأة العاملة تتحكم فى العائد من دخلها كما تشاء، وهى تنفقه على الأسرة إذا أرادت ذلك. كما كشفت الدراسة فى الوقت نفسه عن نتيجة هامة فيما يتصل بعلاقة المرأة بالنقود مفادها أن ثمة ازدواجية فى الخطاب حول النقود والسيطرة عليها وإدارتها داخل الأسرة، فالزوجة تعلن دائماً أن زوجها هو صاحب الإنفاق الرئيسى، وهو واجهة الأسرة وربها، ولكن الواقع الفعلى يكشف عن تفاصيل تؤشر

(٨) - Duncan Thomas, "Intrahousehold Resource Allocation : An Inferential Approach", **Journal of Human Resources**, 25 (4), 635-668, 1990.

(٩) فاطمة الزهراء ازرويل، المرأة بين الواقع والتصور : الوضع النسائى فى المغرب نموذجاً، فى : دلال البرزى وفاطمة الزهراء ازويل (محررا) ، **المراة بين الواقع والتصور**، القاهرة : دارالمرأة العربية للنشر، ١٩٩٥، ص ص ٢٠-٢١.

على دور غير ظاهر للمرأة فى إدارة نقود الأسرة، وأن هذا الأمر ينسحب فى بعض الأحيان على إدارة دخل المرأة(١٠).

وأكدت دراسة أحدث النتيجة نفسها، فقد أشارت إلى أن دخل المرأة يمنحها قدرة على الحركة والفاعلية داخل الأسرة، ولكن هذه المشاركة لا تسمح للمرأة أبداً أن تتباهى بها أو أن تمنّ بها على زوجها، أو أن تُذكره بها على نحو علنى (قد يحدث ذلك فى حالات قليلة طبعا). ومثل المرأة فى ذلك وكما وصفت إحدى حالات الدراسة «مثل زوجة أيوب التى باعت شعرها عليها وهى راضية»(١١). وتصبح المرأة بهذا السلوك هى التى تساهم فى تكريس الثقافة التى تتصادم مع مصالحها، أو تكريس ثقافة التفوق الذكورى، والاستبداد الأبوى. وتلك قضية أخرى على أية حال.

وبناء على هذه النتائج يحق لنا أن نطرح مشكلة علاقة المرأة بالنقود والقوة أو النفوذ على نحو مغاير؛ صحيح أن القوة قد تكون مطمحاً وهدفاً، وتحقق النقود هذا المطمح وذلك الهدف بقدر معين، ولكن العيش فى الأسرة، واستمرار حياتها تكون هدفاً أكبر. ثمة مجالان أو فضاءان يمكن أن نتحدث عنهما عند التعرض للمرأة داخل الأسرة: فضاء القوة من ناحية وفضاء العيش من ناحية أخرى. تجلب النقود للمرأة (فى شكل دخل أو ميراث) فضاء القوة والاستقلال ، فتدخل إليه ولكنها تصادف واقعاً مختلفاً، أكدته الدراسات التى عرضنا لبعضها ونحن نحاول الاقتراب من مشكلة هذا البحث. تصادف واقعاً أسرياً لا يقوم بالضرورة على حساب الأرباح والخسائر، تتفاعل فيه هذه المرأة مع زوج وأطفال، ومع إطار قرابى أوسع. ألا تكون قوتها واستقلالها وسيلة للحفاظ على رواج هذا الواقع واستمراره؟ كما تواجه – كما هو الحال فى مجتمعاتنا – واقعاً ثقافياً غليظا يضع الرجال فى الصدارة، وهم «عنوان الحياة وتاجها»، هكذا تصنفهم قوالب الثقافة الجامدة. فماذا هى صانعة باستقلالها وقوتها؟ هنا يظهر فضاء العيش بقوة، وتصبح له متطلبات قد تتناقض مع متطلبات فضاء القوة. وهنا ربما تكون المساومة هى أفضل الحلول . ومن هنا يطرح السؤال المحورى فى هذه الدراسة: ما علاقة المرأة المصرية العاملة بالنقود؟

---

(١٠) علياء شكرى، وحسن الخولى وأحمد زايد، **المرأة فى الريف والحضر: دراسة لحياتها فى العمل والأسرة**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٨، ص ص ٣٥٣–٣٥٦.

(١١) علياء شكرى، **قضايا المرأة المعاصرة بين التراث والواقع**، منشورات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ص ٣٨٥ وما بعدها.

هل تمنحها النقود (الدخل فى هذه الحالة) مساحة من القوة والاستقلال، أم أن النقود – وربما القوة المصاحبة لها – تتحول – مع مشاق الحياة وغلظ ثقافتها – إلى وسيلة لخلق فضاء من العيش المشترك؟

ثانياً: المنهج :

لتحقيق أهداف هذه الدراسة كان علينا أن نتوجه إلى جمع مادة ميدانية من نساء مصريات عاملات من مستويات تعليمية مختلفة، ووظائف مختلفة، ومن ثم ذوات مستويات اجتماعية اقتصادية مختلفة. وفى ضوء ذلك اتجهنا نحو مقابلة عشرين امرأة تتوافر فيهن الشروط التالية :

١- يعملن فى وظائف (أنشطة) اقتصادية ثابتة تدر دخلاً شهرياً ثابتاً،

٢- تزوجن أو سبق لهن الزواج.

٣- لديهن أولاد.

٤- يتنوعن فى السن وفى المستويات التعليمية.

وقد استخدمنا فى جمع المادة أسلوباً كيفياً يعتمد على المقابلات المفتوحة التى تحكى المرأة فيها علاقتها بالنقود على نحو تفصيلى. ولتوجيه المقابلة نحو تحقيق أهداف البحث، تم استخدام دليل للمقابلة يتضمن عدداً من الأسئلة المفتوحة حول دخل المرأة ومصادره، وحول طريقة تنظيم ميزانية الأسرة، وبنود الإنفاق، والسلوك الإدخارى للمرأة، وبنود الإنفاق الخاصة بها وبكل عضو فى الأسرة، والطريقة التى يتم بها تنظيم هذا الإنفاق، وأشكال الترويح عن النفس فى الأسرة، وقضاء وقت الفراغ، والطموحات المادية والاستهلاكية للمرأة . ولم يكن الدليل يستخدم أثناء جمع المادة، فلقد كانت المقابلة مفتوحة، ولكن الباحث يوجه المقابلة دائما نحو موضوعها الأساسى. وقد تم تدوين المقابلات فى صفحات عديدة (تراوحت المقابلة الواحدة فيما بين ٧ و ١٠ صفحات).

وقد قمت بقراءة كل المقابلات، وأعدت صياغة كل منها فى لوحة بانورامية تلخص المضمون الأساسى للبيانات التى تضمنتها المقابلة . ولقد كتبت هذه اللوحات بلغة مختلفة عن لغة السيدة التى تمت مقابلتها، ولكن كلماتها وعباراتها المميزة والدالة جاءت بين السطور لتعطى الإحساس بروح المقابلة وسياقها وتم اختيار عنوان لكل لوحة من كلمات صاحبتها. ويمكن أن نعتبر أن تلخيص المقابلات

فى لوحات بانورامية كان القراءة الأولى لهذه المقابلات، وكان لابد أن تخضع هذه اللوحات لقراءة تأويلية ثانية، وهى القراءة التى مكنتنا فى النهاية من أن نستخلص عدداً من النتائج، وأن نطور عدداً من الفروض يجدها القارئ فى القسم الأخير من هذا البحث ، وبعد أن يفرغ من قراءة اللوحات.

ثالثاً : عشرون لوحة من عشرين أسرة

(١) «ربنا يبارك ليَّ فى القرش»

نرمين تبلغ من العمر أربعين عامًا، تعمل مديرة للشئون القانونية فى أحد معامل التحليل الطبى. تزوجت من مهندس سيارات، وأنجبت طفلين. تتقاضى نرمين من وظيفتها حوالى ١٠٠٠ جنيه شهريا، ويكسب زوجها ضعف مرتبها شهرياً، بجانب إيجار محل ورثه الزوج من أبيه، وإيجار الشقة القديمة التى كانت تسكن فيها الأسرة. تعتقد نرمين أن دخل زوجها هو الذى يجعل الأسرة لا تحتاج إلى شئ . دخل الأسرة يكفيها شهرياً، تعتقد نرمين أن أسرتها تنفق كثيراً فهى وزوجها والأولاد لديهم قدر من الإسراف، ومن ثم فلا طريق إلى التوفير. هى لا تحاول أن تدخر شيئاً، كما أنها لا تشترى ذهباً، ولكنها تحتفظ بحليها التى أهداها لها زوجها عند الزواج، ولم تضف عليها إلا القليل.

تسير الأسرة فى حياتها على نظام لتقسيم العمل فيما يتصل بالإنفاق، فكل حاجات المنزل والأولاد يتكفل بها الزوج، ويترك لها زوجها مرتبها تتصرف فيه كما تشاء. هى تساهم فى دفع فاتورة الكهرباء، والمياه، والغاز، وأجر البواب، ثم تنفق باقى مرتبها على نفسها.

تلعب الزوجة دوراً كبيراً فى إدارة حياة الأسرة، فهى التى تشترى كل شئ، حتى ملابس زوجها، وهى التى تدير شئون الأولاد، وتتابعهم فى المدرسة. تحرص نرمين على أن تبدو فى مظهر لائق، وتحرص على انتقاء ملابسها والاكسسورات اللازمة لها، وهى تشتريها من نقودها، وأحيانا من نقود زوجها (خاصة فى عيد ميلادها) تعتقد نرمين أنها تختلف قليلا عن الأخريات، فهى لا تحاول أن توفر من مصروف البيت ولا تبخل على أطفالها بشئ، فهى «ضميرها صاحى يعنى عمرى ما فكرت أعمل زى باقى الستات وأوفر من فلوس البيت حاجة ليه، عشان كده تلاقى ربنا مبارك ليه فى القرش».

تقضى نرمين بعض الفراغ فى زيارة الأهل، وتخرج أحيانا مع أولادها إلى الملاهى أو حديقة الحيوان، وتحرص على الذهاب إلى المصيف كل عام، وتتمنى أن يكون لها سيارة خاصة.

(٢) «اللى فى جيبك أحسن من اللى فى جيب غيرك»

تعمل مدام حورية (٣٢ سنة) اخصائية اجتماعية بمدرسة اعدادى. متزوجة من مدرس كيمياء، وتسكن هى وزوجها وأطفالها الثلاثة فى شقة من ثلاث غرف، مزودة بتليفون ومعظم الأجهزة الكهربائية. وتملك الأسرة سيارة ، فضلا عن ثلاثة تليفونات نقالة. تعتقد حورية أن دخل الأسرة يكفيها، خاصة وأن زوجها يعطى دروساً لمجموعات من الطلاب. تملك حورية شهادات استثمار فى البنك، وكان لديها دفتر توفير واضطرت إلى سحب ما فيه. كما أن لديها حليها الذى تزوجت به واضافت إليه بعد ذلك، وتتمنى أن تحافظ عليه ولا تضطر إلى بيعه فى يوم من الأيام.

تهتم حوريه بأن تعيش عيشة مستورة، لا يهمها أن تدخر نقوداً، وهى لم تعد قادرة على الادخار الآن بعد أن تنوعت مطالب الأولاد فى التعليم. تعودت الأسرة أن تجمع مرتب الزوج والزوجة، ويأخذ كل منهما مصروفه الشهرى وينفق المتبقى على المنزل : الطعام والشراب والإيجار والكهرباء وفواتير الموبايل والتليفون وبنزين السيارة وكتب وكراسات الأولاد، ودروسهم الخصوصية.

تعيش الأسرة على مبدأ صارم فى تقسيم النقود، فلو اشترى الشخص شيئا يخصه هو يكون من مصروفه الشهرى؛ أما إذا كان دواءً فيكون من مصروف البيت. وحورية هى التى وضعت هذا المبدأ، وهى التى تطبقه، لأن كل النقود الخاصة بالأسرة (المكونة من جمع المرتبين كل أول شهر) تكون تحت تصرفها لأن «الرجل معندوش دماغ للكلام ده». وهى تدبر الأمر عندما تقرر شراء لوازم الأسرة – خاصة الملابس والأحذية ومستلزمات المدارس – من المحلات الأقل سعراً.

تخرج حورية فى رحلات مع المدرسة وتأخذ أولادها معها أحيانا، وتحرص على السفر إلى المصيف كل عام، وتقضى جزءاً من فراغها مع زوجها وأولادها فى المنزل وقد تخرج أحيانا لتناول الطعام خارج المنزل، ولا تستنكف من شراء طعام من خارج المنزل كنوع من التغيير .

تعتقد حورية أنها حققت كل ما تريده، وهى لا تريد شيئاً إلا أن ينجح الاولاد وتستطيع أن تحج وتعتمر وأن تبنى بيتاً للأولاد، وربما تستطيع أن تحقق ذلك بعد أن يتم الأولاد تعليمهم.

ولذلك فهى تحرص على أن تضع كل قرش فى موضعه الصحيح، فلو امتلكت نقوداً كثيرة فسوف تتجه نحو بناء البيت والحج والعمرة، «فإن تبقى الفلوس فى جيبها أفضل من أن تبقى فى جيب غيرها».

(٣) «لو أبنى عايز خلاص بلاش أنا»

تلخص هذه العبارة علاقة سعاد بالنقود، لا تفكر فى نفسها قدر تفكيرها فى أسرتها وابنها وهى فى بداية مشوار الحياة الزوجية. تبلغ من العمر ٢٢ عاما ، عاملة فى مصنع نسيج، وتتقاضى أجراً فى حدود ٣٥٠ جنيهاً شهرياً، تزوجت حديثا من زميل لها فى نفس المصنع يتقاضى نفس أجرها تقريبا. كل ما تملكه هو هذا الدخل الشهرى وما ورثته عن أبيها أنفقته على زواجها. لا تدخر شيئاً من دخلها، فهو يكفى بالكاد مع دخل زوجها، وتحمد الله أنها لا تمد يدها للاقتراض من الآخرين. وتتمنى أن يكون لها وليس عليها، اضطرت لبيع حليها بعد الزواج مباشرة لكى تستطيع أن تشترى جهاز تلفزيون. فى أول كل شهر تعطى راتبها لزوجها، وهى تبرر ذلك على النحو التالى «عشان يكون هو المسئول وهو الرجل برضه» وهو يقوم بإعطائها المصروف الأسبوعى الذى يغطى حاجات المنزل، وحاجة الطفل الوليد من اللبن، ويعطيها كل يوم فلوس المواصلات ومصروف الجيب. ويدفع هو الإيجار الشهرى للشقة وتكاليف الكهرباء ، وقليلاً من النقود لابنه ويغطى تكاليف السجاير. ويغطى مرتب الزوج والزوجة هذه البنود بالكاد.

ولا تستطيع سعاد أن تشترى كل ما تحتاجه، أو كل ما فى نفسها أن تشتريه، وتؤكد أن «فيه حاجة أهم من حاجة، يعنى لو ابنى عايز خلاص بلاش أنا». لا تشترى سعاد لنفسها أو لزوجها أشياء تذكر، زوجها لا يريد إلا سجائره، وفى حالة الضرورة تشترى الملابس من الأسواق الرخيصة فى الجيزة أو الموسكى أو العتبة. تحلم بأن يكون لديها شقة أوسع لوحدها مش مع أهل جوزها. وجهاز أفضل وأجهزة كهربائية أفضل، وتحلم بشراء ذهب مثل أى امرأة، ولكن هذا الحلم يظل بعيد المنال طالما أنها «تحسب كل حاجة بالورقة والقلم». لا تتجمل سعاد خارج

المنزل لأن زوجها محرم عليها «الكلام ده» فى الشارع، ولكنها تتجمل أحيانا فى المنزل بأشياء تشتريهامن محلات ٢,٥ جنيه(*).

كانت سعاد تذهب إلى رحلات قبل الزواج مع زملاء العمل، ولكنها لا تستطيع الآن، وهى تقضى وقت فراغها فى المنزل وتكتفى بزيارة والديها وحماتها وأهل زوجها، لم تخرج لقضاء أى وقت خارج المنزل إلا مرة واحدة بعد الزواج مباشرة حيث تناولت طعام الغداء مع زوجها فى أحد المطاعم، تتمنى لو أن لها نقوداً مستقلة تنفق منها على نفسها، وتتمنى أيضا لو أدخرت منها شيئا، ولكنها لا تستطيع.

(٤) «فلوس كثيرة قوى أنا اللى أحركها مش هى اللى تحركنى»

سيدة : تبلغ سيدة من العمر ثلاثين عاماً، حاصلة على دبلوم تجارة، تعمل بائعة فى محل ملابس جاهزة تعمل فيه منذ عشر سنوات، متزوجة من عامل نقاش، ولديها ولدان. يبلغ دخل سيدة الشهرى ستمائة جنيه، أما دخل زوجها فغير منتظم «يكثر فى الصيف ويقل فى الشتاء»، ويتراوح بين ٥٠٠ و ١٠٠٠ جنيه شهريا فى وقت ذروة العمل. لا تعرف سيدة طريق البنك، أو البريد، ولا تقتنى ذهباً إلا خاتم اشترته لها اختها. تدير سيدة أمور بيتها شهراً بشهر، وتدخر من جمعية إذا ما احتاجت إلى شراء شئ أكثر تكلفة. والمرتب يكفى الشهر بالكاد، ولا يعطيها زوجها نقوداً مما يكسب إلا إذا سألته لشراء أشياء له أو للأولاد(**). وهى تأخذ معظم حاجاتها من المحل الذى تعمل فيه بتخفيض كبير. تشترى هى أغراضها الشخصية من نقودها الخاصة. «أنا بصرف على قد الفلوس اللى معايا، الفلوس هى اللى بتحركنى مش أنا اللى بحركها، لما يكون معايا فلوس كثيرة قوى أنا اللى احركها مش هى اللى تحركنى، الفلوس هى اللى تقولى اشترى ايه وما اشتريش ايه». ليس هناك وقت كثير للترويح لدى سيدة، فهى تخرج إلى زيارة أهلها، وفى بعض الأحيان تذهب مع زوجها وأولادها إلى حديقة الحيوان أو السينما. لا تدخر سيدة شيئا للأزمات، وتؤكد أن الحياة كلها أزمة «يعنى الواحد لما يعدى عليه يوم كويس يقول الحمد لله عقبال اللى بعده». وتتمنى لو أنها تملك أموالا كثيرة تحركها هى بنفسها، ساعتها سوف تبنى عمارة وتفتح مشروعاً خاصاً (محل ملابس).

(*) المحلات التى تبيع كل شئ بجنيهان ونصف.

(**) وهو يدفع ايجار الشقة ٣٠٠ جنيه فى الشهر.

(٥) «قرشك هو حياتك»

الحاجة سناء : تبلغ الحاجة سناء من العمر أربعين عاماً، تزوجت من أستاذ جامعى وأنجبت منه ثلاثة أبناء وبنت، لم يستمر الزواج لأنها تطلقت، واستقالت من مهنتها (مدرسة لغة عربية) لتدير حضانة للأطفال تملكها. تتصرف فيما يعود عليها من مشروعها الخاص باستقلال تام فتنفق جزءاً منه فى المنزل لأن ما يدفعه الأب شهرياً لا يكفى الا مصروف الأولاد ومدارسهم وتدخر الباقى فى البنك. أسست مشروعها من نقود وفرتها من إعارة سابقة إلى الخليج، وهى تدخر كل ما يفيض عن حاجتها. تحرص دائماً على تزويد رصيدها فى البنك، وتفتح حساب توفير لكل أولادها وبنتها. تملك مجوهرات كثيرة، وهى تزيدها ما بين حين وآخر، وتعوّد ابنتها على أن يكون لها مجوهراتها الخاصة.

تعتقد الحاجة سناء أنه فى الوقت الذى نعيش فيه يكون «قرشك هو صاحبك والإنسان من غير فلوس ملوش لازمة، وأنا لو مش عامله حسابى كان زماننا مدينا ايدينا لابوهم ومكنش هيدينا لأنه عنده بيت تانى وعيال ثانية، والحمد لله ربنا رزقنى بصيرة وعرفت اتصرف»

تشعر الحاجة سناء أنها تنفق النقود كالبحر، والبحر دائماً يحب الزيادة. هى لا تدفع أيجاراً للشقة لأنها تمليك وكذلك الحضانة، ولكنها تحرص على ألا ينقص البيت اى شئ كما تغطى كل حاجات الأولاد فى المدارس، وتدفع لهم للرحلات وتستقبل أهلها كضيوف فى منزلها، وتدير الحضانة فتدفع للموظفات والعاملات أجورهن، وتحصل مصاريف الحضانة من أولياء الأمور بنفسها. تشعر دائماً أن ثمة علاقة بين إدارتها للحضانة واداتها للمنزل، «فعين هنا وعين هناك» إدارة شئون الأولاد وتلبية حاجاتهم كلها غير منقوصة، وإدارة شئون الحضانة.

وهى تشترى لنفسها كل ما ترغب فيه، وتؤكد على أن المرأة لو «عندها دخل خاص بيها أكيد تعرف تشترى كل اللى فى نفسها، إنما لو ست بيت هتنتظر الحسنة من جوزها أو أنه يمنّ عليها أنها تشترى حاجة ... أنا لو نفسى فى حاجة اجيبها حتى لو ثمنها ايه»

ليس للحاجة سناء أمنيات شخصية فقد حققت الكثير، وهى تكتفى بأن تلبس عبايات وطُرح ولا تسرف كثيراً فى شراء أدوات التجميل، وأن اشترت فالذهب فقط. هى لا تمتلك وقتا للترويح عن النفس، ولا تخرج إلا إذا كان عيد أو عيد الميلاد

للأولاد (تحرص أحيانا على عمله في المنزل أو فى محل ماكدونالدز أو فى رحلات الحضانة التى تحرص أن تأخذ أولادها معها ولكنها لا تنسى أن تتمنى أن يكون لديها أتوبيس خاص تستطيع أن تشغله لنقل الأطفال إلى الحضانة فتأتى بدخل آخر للأسرة. فالأمنية الأكبر للحاجة سناء أن يكون عندها «أساس مادى قوى ويكون كل شويه فى زيادة وعمرى ما اخذ منه».

(٦) «لو جوزى ماتطلعش جدع معايا»

صباح : تبلغ صباح من العمر ٤٥ عاما، تقرأ وتكتب، متزوجة من صاحب محل سباكة، ولديها ثلاثة أولاد وبنتان . تسكن صباح فى مسكن أسرة الزوج (فى أسرة شبه ممتدة) وتعمل عاملة بمركز طبى حكومى. التحقت صباح بهذا العمل منذ أربعة سنوات فقط وهى تتقاضى منه مبلغاً يصل إلى ٣٠٠ جنيه شهرياً بجانب بعض البقشيش الذى تحصل عليه من الأطباء أو المرضى. كما أن زوجها أصبح يملك هذا المحل بعد سنوات طويلة من العمل فى السباكة وهى تقول: «أنه بيكسب شهرياً ما بين ٥٠٠ إلى ٧٠٠ جنيه. لم ترث صباح من أهلها شيئاً، كما لم يرث زوجها أيضا فلم يترك لهما أهلهما غير «السيرة الطيبة». يعمل ابنها الكبير فى الأجازة الصيفية لكى يدبر مصاريف دراسته، وهو يخفف عن الأسرة بعض الشئ من تكاليف الحياة. تنفق صباح نقودها الشهرية فى المنزل، وهى تنظم ميزانية المنزل مع زوجها الذى يتولى إدارتها فهو يأخذ كل النقود منها وهى تبرر ذلك بالقول «هو اللى عايز كده.. مقدرش أقوله لا» وهو يعطيها مصروفها الشهرى، ويعطيها مبلغاً من المال كل أسبوع لتقضى منه لوازم المنزل من الطعام والشراب.. الخ.

تقول صباح «ربنا وحده هو اللى بيسهلها من عنده، أحنا ما بنشتريش حاجات زيادة إلا العيش أو أى حاجة هناكلها فى الفطار أو الغداء، ومصاريف النظافة ، لو هانروح نزور حد يكون فى ايدينا شوية فاكهة أو طبق حلويات وبندفع الكهربا وفلوس الزبالة، ولو فى حاجة انكسرت فى البيت، وعايزة تتصلح، ولانى مشغولة جدا فى الشغل كل واحد من العيال هو اللى بيروح يشترى حاجاته من الموسكى أو الوكالة أو السيدة زينب، وأنا لا اشترى لنفسى أى شئ. العيال هم اللى بيشتروا فى العيد (طبعا عيد الأم) جلباية أو عباية، الست اللى ربنا فاتح عليها وعلى جوزها هى اللى بتعرف تشترى كل حاجة، إنما اللى زينا مش كل اللى نفسها فيه تقدر تشتريه،

والحمد لله ربنا بيارك لنا فى الرزق. الواحد بيلاقيها كده وسعت من مفيش وساعات بتضيق أوى لكن هأعمل ايه الواحد لازم يحاول يمشى أمور عيشته»

لا تتمنى صباح من الحياة إلا أن يكون لها منزل مستقل. ولن تحقق من عملها الذى التحقت به منذ أربع سنوات أحلاما كثيرة إلا بعض المساعدة فى حياة الأسرة وشراء مرواحة للعيال كان نفسها تشتريها من زمان. ولم تفكر فى حياتها إن تشترى ذهباً، وكل أملها فى المستقبل أن تساعد أولادها على الزواج، خاصة البنات منهم، كما أنها لا تفكر أبداً فى التزين بل إنها تعتبر التزين فى هذه السن من العيوب الكبيرة «لأن العيال كبرت». لا تخرج صباح كثيراً للفسحة فهى لا تمتلك وقتا لذلك ولم تذهب إلى المصيف إلا مرة واحدة فى حياتها ورغم ذلك فإن صباح على وعى بأن يكون لها نقود خاصة بها «قرش بتصرف منه»، وتعرف أهمية ذلك جيداً فى حالة حدوث مكروه للزوج او فى حالة أن الزوج «مطلعش جدع معها». فهى تستطيع فى الحالة ده أن تعيش مع عيالها من غير ما تضطر أنها تتجوز تانى.

(٧) «رضاى من رضا ولادى»

أم مريان: أم مريان تبلغ من العمر ٤٥ عاما، حاصلة على دبلوم تجارة، صاحبة محل كوافير سيدات، متزوجة من سائق سيارة تاكسى، ولها ولدان وبنتان. تعلمت مهنة تصفيف شعر النساء منذ نعومة أظافرها حيث كانت تعمل مع والدها الذى كان يمتهن المهنة نفسها، وتقول إن زوجها فتح لها محلاً، ثم استطاعت هى أن تفتح محلاً آخر، أصبح لها الآن محلان تدير أحدهما هى وابنتها، وتشرف على الآخر عن بعد. تقول إنها تكسب حوالى١٠٠٠ جنيه شهرياً، وأن دخلها أكبر من دخل زوجها حيث لا يزيد دخل زوجها عن ٥٠٠ جنيه شهرياً.

تعتنى أم ماريان بأولادها، وتدّخر من أجلهم، فهى تحرص على أن يكون لكل من أولادها دفتر توفير. هى بالفعل نفذت ذلك لابنها الأكبر وابنتها الكبرى التى تساعدها فى عمل الكوافير، كما تحرص على أن تشترى لبناتها ذهبا كلما اتيحت الفرصة.

لا تمتلك أم ماريان وقتاً كثيراً تنفقه فى شراء الاشياء، هى التى تدير كل شئ، لا تأخذ من زوجها نقوداً، وهو ينفق ما يكسبه على السجائر أو الملابس ومصروف الجيب. أما انفاق الأسرة برمته فيؤخذ من إيراد المحل، ولأنها لا تملك وقتا فإنها

تعتمد كثيرا على ابنتها الكبرى التى تدرس فى السنة الأخيرة فى دبلوم التجارة، فهى تساعدها فى المحل، وتتكفل بشراء حاجات اخوتها، فضلا عن المساعدة فى شراء حاجات المنزل من الطعام، وتضيف أم مريان «أنا أهم حاجة عندى عيالى، والست اللى عندها عيال تقول دايماً هم احق منى، ولازم تحط كل همها فى عيالها، يعنى رضاها من رضا عيالها، وإن كل حاجة يحتاجوها يلاقوها وما يحتاجوش لحد».

ورغم ذلك فإن أم مريان لا تملك وقتا كثيرا للفسح أو الزيارات الخاصة وإن كانت تهتم بالذهاب إلى الكنيسة يوم الأحد. تحرص على أن يكون لها نقودها الخاصة، هى تعودت ذلك منذ الصغر، وهى تحرص على أن يكون لها راتب شهرى، وتدخر منه جزءاً لأولادها ولنفسها، وهى تعتقد أن الفلوس «سند فى الزمن ده ولازم الواحد يتحوط بها»، وهى تمكّن المرأة من أن تبنى نفسها، «وما تجعلش الناس يضحكوا عليها».

(٨) «صبر نفسى علىّ ولا صبر الجزار»

أم عبده : تبلغ أم عبده من العمر ٤٤ عاماً، وتعمل مساعدة مشرفة فى حضانة خاصة، وهى متزوجة من زوج على المعاش ولديها أربع بنات (ومن هنا أخذت هذه الكنية لأنها لم تنجب ذكورا) تحصل أم عبده على ٣٠٠ جنيه مرتباً شهرياً ويحصل زوجها على ٦٠٠ جنيه من معاشه، ولا تملك الأسرة أى دخل آخر غير هذا الدخل. تنفق أم عبده جزءاً كبيراً من نقودها على الأسرة وهى تقدر مصاريف الشهر بـ ٣٠٠ جنيه تنفق على الإيجار والغاز والطعام والمواصلات، ومصاريف المدارس، وعلاج ابنتها الكبرى.

وتؤكد أم عبده أن زوجها ليس له أى طلبات سوى سجائره، وقطعة من القماش من حين إلى آخر. وتترك أم عبده بناتها يشترين احتياجاتهن لأنفسهن من مصروفهن أو من نقود يأخذنها من أبيهنّ ويلاحظ فى هذه الأسرة أن الانفاق الشهرى قليل لأن الأسرة تحضر من القرية كل شهر بعض المواد كالخبز والبيض والجبن والخضروات الطازجة والجافة، فثمة دعم للأسرة من أقاربهم فى القرية. وتنشغل أم عبده كثيرا بالمستقبل، فقد سعت إلى العمل لضمان دخل لنفسها مستقل عن دخل زوجها، وعندما توفر لها دخل فتحت لنفسها حساب توفير (دفتر توفير) تضع فيه ما تستطيع أن تدّخره شهرياً من مرتبها خاصة الاكراميات التى تقدم لها

من أولياء الأمور. تقول أم عبده «كل حاجة تفيض منى أروح على طول أشلها... أصل مفيش حاجة مضمونه اليومين دول، أنا دلوقتى فى صحة يا عالم بعدين ها قدر واللا لا، وبعدين علاج البنت الكبيرة بتأخذ حقنة كل سنة ولازم تاخذها علشان معندهاش مناعة، وساعات بدخل جمعيات وأنا اللى بامسكها وبنعملها فى الحضانة مع المدرسات والستات العاملات، وده كله علشان تبقى معايا فلوس اعرف اعيش واحوش منها، ولما اعوزها الاقيها مفيش حد اليومين دول بيدى لحد جنبه حاجة يعنى اطلعي دلوقتى وقولى أنى مزنوقة والله ما حدش يعطيكى جنيه، ولو ادالك هايكون مستنى تردها امتى، الواحد أحسن يصبر على نفسه «صبر نفسى على ولا صبر الجزار» ورغم ذلك فإن أم عبده ترى أن لا فرق بين نقودها ونقود زوجها «فالجيب واحد» ولا تستنكف أبداً أن تنفق مدخرتها على زوجها، كما حدث من قبل حين باعت الأسورة الوحيدة التى تمتلكها عندما كان فى أزمة.

تشترى أم عبده كل حاجتها الشخصية من نقودها وهى أشياء بسيطة تنحصر ما بين الجلابية والشبشب والشال والطرحه. وهى تنظر إلى النقود على أنها مثل المياه «سبحان الله ما تعرفش تمسكها نهائى». ومن أمنياتها أن يكون لها قطعة أرض فى البلد (القرية) وأن تسكن فى مكان واسع، وأن تغير مواسير الحمام والمطبخ لأن الجيران فى شكوى دائمة من هذا الأمر وهى لا تستطيع القيام بإصلاحها. ولا تطلب أم عبده من الدنيا إلا الستر «الستر الواحد مش عايز غيره.. أن يفضل مستور وربنا ما يحوجنا لحد أبداً وطول ما الواحد ما بابى مقفول على أكل أنا والعيال بملح المهم ما حدش يطلبنى بحاجة علىّ»

لم تذهب أم عبده إلى أى مكان أبعد من قريتها التى تزورها من حين إلى آخر، وهى تستغرب عندما نسألها عن الخروج إلى أى صورة من صور الترويح عن النفس من سينما أو مطاعم أو مصاريف.. الخ. فكل إطلالها على العالم الخارجى رحلة إلى القرية فى كل أول شهر لاحضار متطلبات المنزل.

(٩) «نفسى فى حاجات كثيرة بس مش طايلة»

أم سيد : أم سيد سيدة أرملة تبلغ من العمر ٥٥ سنة ، وتعمل عاملة فى أحدى المؤسسات الحكومية، وتتقاضى راتباً مقداره ٥٠٠ جنيه شهرياً. تزوجت من عامل معمارى توفى وترك لها ابناً، يعمل الآن موظفاً بالحكومة وابنة ما تزال فى كنفها ،

وتتحكم ام سيد فى كل النقود التى تحصل عليها من عملها، وهى تنفقها على نفسها، وما يتبقى منها تنفقه لتساعد ابنها المتزوج الذى لا يكفيه دخله للانفاق على أسرته وعلى ابنه المريض. وتجهز ابنتها للزواج كما تساعدها أيضاً فى التعليم حتى حصلت هذه الأبنة على الشهادة المتوسطة وتكمل دراستها الجامعية بالتعليم المفتوح.

تعانى أم سيد من بعض الأمراض وتضطر إلى عمل علاج طبيعى كما أجرت عمليتين جراحيتين من قبل، ولذلك فهى تشعر أن عليها عبئاً مالياً كبيراً فهى تحمل هم ابنها المتزوج ذى الدخل الصغير، كما تحمل هم ابنتها التى تستعد للزواج وتكمل تعليمها، إلى جانب هم مشكلاتها الصحية. تحاول أم سيد جاهدة أن تدبر أمور حياتها عبر كل هذه المسئوليات فهى تقسم دخلها على الطعام الذى قد يشارك فيه الأولاد والأحفاد أيضا، وعلى شراء الدواء، ومساعدة الأولاد.

تدير أم سيد كل شئونها بنفسها، لا يساعدها أحد بل أنها تدير شئون أولادها أيضا فهى لا تعتبر أن ما تحصل عليه من دخل يجب أن يكون لها وحدها بل هو دخل مشاع لكل أفراد الأسرة، وهى تقوم بدورها بدرجة تعكس قدراً كبيراً من الحب والكرم (يتضح ذلك من حديثها عن نوعية الأطعمة التى تعدها لأولادها واحفادها عندما يزورونها هم وزوجاتهم) .

فى ضوء هذه المسئوليات تشعر أم سيد شعوراً عميقاً بالحرمان وهذه كلماتها: «نفسى فى حاجات كثيرة بس مش طايله وأنا عندى أرضى بنتى اليتيمة عنى وعن أى حاجة تانية، حتى ابنى اللى متجوز لو نفسه فى حاجة اجيبهله، ولو نفسى اجيب حاجة مبقدرش اجبها... نفسى فى كيلو زبده.. نفسى أكل كنافه.. والحاجة غالية، أحنا فى رمضان مدخلش الكنافه ولا القطايف وباشترى عرق سوس افطر بيه، احنا ما نقدرش على الفشخرة الفاضية»

وتعكس كلمات ام سيد أمانيها أيضاً «نفسى أجيب أوضة نوم حلوه بدل الدولاب المكسر بقى له ٢٠ سنة... نفسى أجيب دولاب دلفتين، كل ما اروح أسال عليه يقولى بـ ٧٠٠ جنيه .. نفسى اشترى غسالة حلوة.. الغسالة رجلها انكسرت وباغسل عليها بالعافية، يمكن ربنا يقدرنى اجيبهم بالتقسيط زى ما جبت بوتجاز أربع عيون دفعت له ٢٥٠ مقدم وكل شهر ٦٠ جنيه... ونفسى كمان اجيب حلق ذهب لبنتى»

ولذلك فإن ام سيد لا تعرف طعماً ولا لوناً للترويح عن النفس الا كما تقول كلماتها: «اقعد اصلى وأسبح ولو فى مسلسل فى التلفزيون حلو اقعد اشوفه».

(١٠) «اللى بيدهولى جوزى بأصرف بيه نفسى»

حمدية : تبلغ حمدية من العمر ٥٦ سنة، وتعمل فى أشغال الأبرة والتطريز وهى تؤدى هذه الأعمال لأحد المحلات المتخصصة فى تطريز العبايات والجلباب. وهى تؤدى عملها إما فى المنزل أو فى المحل. حمدية لا تقرأ ولا تكتب (امية) متزوجة من ميكانيكي سيارات على المعاش ومنجبة لأربعة أبناء (٣ بنات وولد)، حصل أولادها على دبلومات متوسطة كما زوجت حمديه أحدى بناتها .

تكسب حمدية من عملها حوالى ٢٠٠ جنيه شهريا وتقول إنها «تدبر بها حالها وبتصرف بها أمورها»... مواصلات – مجاملات – تسديد ديون» وتدخر ما تبقى من هذه النقود تحسبا لأى ظروف. أما المسئول عن ميزانية الأسرة فهو الزوج وهو يعطى زوجته مصروف المنزل يوما بيوم وهى لا تناقشه فيما يعطيه لها فمرة يعطيها ٥٠ جنيها ومرة أخرى ٢٠ جنيها ومرة ثالثة لا يعطيها شيئاً، ويساعد الأبناء فى بعض المصروفات كأن يحضر أحدهما وجبة جاهزة لعشاء الأسرة، أو تدخل الأبنة التى تعمل فى جمعية لشراء أحد الأجهزة الكهربائية للأسرة، أو أن تشترى الأبنة الأخرى شيئا بالتقسيط وتقوم بسداده من دخلها. ويساهم البنتان فى ميزانية الأسرة أكثر من الابن حيث تقول الأم «الابن يحتاج اللى يساعده علشان عايز يتجوز»، كما تؤكد أن الابنة الصغرى التى تعمل فى أحد محلات تصفيف الشعر هى التى تأتي إليهم بالأكل الجاهز أو تسدد أقساطاً، بل أن البنتين قد تساعدان اخاهم، وتقوم حمدية بشراء جميع متطلبات الأسرة بمساعدة البنات، كما تقوم بشراء احتياجات الزوج وهو الذى يقوم بدفع ثمن هذه الحاجات.

وتشترى الزوجة حاجاتها الشخصية من دخلها الخاص، أو بمساعدة إحدى بناتها، ورغم أنها تقول إنها تشترى كل ما فى نفسها وأنها تدّخر جزءاً من دخلها إلا أنها تتمنى لو غيرت شقتها لتسكن فى مكان بعيد عن هذه المنطقة الشعبية، كما تتمنى لو أنها غيرت حجرة نومها. وهى تفضل أن تدّخر بعض النقود لتشتري بها بعض الحلى أو تضعها فى دفتر التوفير مثلا، وليس لحمدية أى ميزانية لقضاء وقت الفراغ فى الترفية. فكل وقتها تقضيه مع جيرانها وهى تذكر أنها طوال حياتها لم

تسافر الا فى رحلتين من خلال جمعية خيرية بالمنطقة احداهما إلى الفيوم والاخرى إلى أسوان.

ولا تقتصر أحلام حمدية المستقبلية على تغيير شقتها فقط إنما تمتد إلى أمنيات خاصة بزواج ابنائها، فهى تربط امنياتها حول تغيير الشقة بزواج الابن الذى يمكن أن يسكن معهم فى الشقة نفسها لو كانت أوسع.

(١١) «أنا بحاول ما أحرمش نفسى من حاجة»

أمينة : تبلغ أمينة من العمر ٣٥ سنة، وحاصلة على مؤهل متوسط، وتعمل أمينة مشرفة على معمل كومبيوتر باحدى المدارس الحكومية وتتقاضى عن هذا العمل مرتباً شهرياً مقداره ٣٠٠ جنيه. وأمينة متزوجة من موظف ذى مؤهل متوسط ويعمل بالشئون الإدراية باحدى المستشفيات الحكومية، كما يحاول زوجها لزيادة دخل الأسرة العمل بإحدى العيادات الخاصة فى الفترة المسائية كمشرف على هذه العيادة. ولأمينة من الأبناء ثلاثة (ولد وابنتان) . الولد هو أكبر الأبناء وهو طالب فى التعليم الثانوى العام اما الابنتان فما زالتا فى المراحل المبكرة من التعليم.

تنفق أمينة مرتبها كله على حاجاتها الشخصية وعلى بعض احتياجات الأسرة حيث تقول «مرتبى كله بيتصرف فى حاجات خاصة بى وبالأولاد، يعنى بدفع منه جمعيات وأقساط وباشترى منه لبس ولو عجزت معايا قوى ممكن أكمل من جوزى علشان أنا باصرف كل مرتبى فى البيت بس مش على الأكل والشرب»

وتؤكد أمينة أن زوجها هو المسئول الأول عن الانفاق على الأسرة فهو الذى يقوم بشراء احتياجات المنزل من الأكل والشرب يومياً، وممكن أن يعطينى نقود يوم بيوم لشراء متطلبات المنزل. وتعد مصاريف الأكل والشرب أهم حاجة بتتصرف فيها الفلوس ويليها مصاريف الدروس الخصوصية. وترى أمينة أن أكثر مشكلة تعانى منها هى مصاريف الدروس الخصوصية حيث تقول «مصاريف الدروس الخصوصية هى مشكلتى الكبيرة علشان كده باحاول أدبرها طول الشهر لأنى ما اقدرش أطلبها من جوزى مرة واحدة فباخد منه لما يكون معاه فلوس يعنى عشرة جنيه فى عشرين جنيه واشيلهم على جنب للدروس». وإلى جانب مشكلة الدروس الخصوصية هناك مشكلة أخرى لدى أمينة وهى حب الشراء والتسوق الزائد عن الحد فتقول: «أنا باحب الشوبنج حتى لو فى الاكل وده بيورطنى فى ديون كثيرة،

يعنى ممكن أكون فى محل ويعجبنى حاجة وأنا معايش فلوس استلف من صحابى واشتريها، وابقى اسدد بعدين، ممكن ده يبقى فى حاجات مهمة ومحتاجها وساعات بيبقى فى حاجات هايفة زى الاكسسورات أو المكياج – وأنا باعتبر نفسى باشترى كل اللى نفسي فيه ، فانا باحاول محرمش نفسى ولا ولادى من حاجة عشان كده مش ممكن أقدر احوش».

وعلى الرغم من ضيق ذات اليد إلا أن أمينة تحاول باستمرار الترفيه عن نفسها وعن أبنائها حيث تأخذ الأبناء إلى النادى أو فى فسحة، وأحيانا تذهب بهم إلى مطاعم الأكل الجاهز القريبة من المنزل.

تدبر أمينة حياتها من خلال الاستلاف من الأصدقاء والأقارب، ومن خلال الأقساط والجمعيات الشهرية، وتؤكد أن أهم انجاز حققته فى حياتها هو شراء الشقة التمليك (من نقود زوجها والباقى تم استلافه) وليس لديها أى طموحات مادية فى المستقبل سوى أن يكون لديها فلوس من أجل تجهيز الشقة بطريقة أفضل فتقول «أهم حاجة يبقى معايا فلوس علشان اوضب شقتى..أعمل سقف معلق، وأرضية خشب، وأجيب انتريه جديد... وبعدين أبقى أجوز أبنى.. فانا نفسى فى حاجات كثيرة بس مش قادرة... وأنا عايشه يومى كده يوم بيوم مبفكرش فى حاجة».

١٢) «أعيش مستورة وأموت مستورة»

أم عبدالله : أم عبد الله عاملة فى مصلحة حكومة، متزوجة من عامل فى المكان نفسه، تبلغ من العمر ٤٥ عاما، ولها من زوجها ثلاثة أولاد فى مراحل التعليم المختلفة ومن زوج سابق ابنة أكملت الشهادة المتوسطة. تتقاضى أم عبدالله من عملها حوالى ٤٠٠ جنيه، ومثلها لزوجها، وهى تؤكد أنها هى التى تمسك كل الأمور المادية فى المنزل «مرتبى ومرتب جوزى بحطهم على بعض ونعيش منهم».

تحاول أم عبد الله أن تتعامل مع ما تملكه من نقود بحرص شديد، فالنقود تكفى مصاريف البيت بالكاد، وهى لا تستطيع أن تشترى من الطعام كل ما تريد، لأنها تحاول أن تدّخر شيئا لتجهيز ابنتها (التى تنهى دبلوم التجارة والتى تمت خطبتها هذا العام). تشترى أم عبدالله حاجات ابنتها بأقساط شهرية، بحيث لا يتعدى القسط عشرين جنيها، تحكى أم عبدالله عن كفاحها فى تحقيق استقامة لحياة

الأسرة. «كان معايا دهب بعته علشان أدفع للشقة اللى احنا ساكنين فيها ٥٠٠٠ جنيه، ما بقاش معايا إلا حلق ٥ جرام عشان لما أموت يدفنونى منه... المرتب يدوب بيكفى أدى للعيال مصروفهم أول الشهر، والراجل يأخذ ثمن سجايره، والباقى اتصرف فيه حسب الظروف... فيه حاجات نفسى فيها كثيرة مقدرش أجيبها. الفاكهة الغالية زى المانجه مقدرش اشتريها... عمرى ما اتفسحت ولا خرجت الا احيانا نروح جنينة الحيوانات... الخروجه اللى زى دى بتكلف ٤٠ جنيه على الأقل...»

لا تدخر أم عبدالله أية نقود لنفسها، ولكنها تقر أنها «تشيل حوالى ٢٠ جنيه أو ٣٠ جنيه لنفسها. أقدر أعمل بيها واجب مع واحدة موجبانى (لها عندى واجب) فى حالة ولاده أو مرض». أهم شئ في حياة أم عبدالله أن «الأمور تمشى وتقدر تعيش مستورة من غير ما تستدين من مخلوق... وتعيش وتموت مستورة... عشان كده شايلة الخاتم الخمسة جرام يكفّنوني بيه».

١٣) «الست لو مستورة هيكون لها وضعها»

ريم مدرسة لغة إنجليزية تبلغ من العمر ٤٥ عاماً، متزوجة من رجل لديه مشروع صناعة موبيليا صغير (فى ورشة صغيرة)، تعيش مع زوجها وأولادها (ولدين) فى شقة تمليك فى منزل تملكه أسرة الزوج. علاقة ريم بالنقود لا تعود إلى أيام العمل والزواج، بل تعودت أن تدّخر وهى صغيرة حيث كان والدها يعطيها بعض الأموال (وإن كانت قليلة) لكى تدّخرها لنفسها فى صندوق توفير، استنفذته فى زواجها.

يبلغ دخل ريم الشهرى حوالى ١٠٠٠ جنيه من مرتبها ومن الدروس الخصوصية التى تعطيها للطلبة فى المنزل، ويبلغ دخل زوجها أكثر من ٢٠٠٠ جنيه (من عمله فى المدرسة، بجانب عائد إيجار شقة تركها الوالد)، المشكلة الرئيسية فى حياة ريم أنها زوجة ثانية، فزوجها له أولاد من زوجة سابقة يأخذون جزءاً من دخله الشهرى.

لا تسأل ريم زوجها على أى شئ، فهو يعطيها «ما يخرج من ذمته» كل شهر، وغالباً ما يكون قليلاً، فى حدود ٣٠٠ جنيه، وهى التى تتكفل بكافة متطلبات الأسرة، وكذلك الإنفاق على الأولاد فى المدارس، وهى تشعر أن ذلك أمر طبيعى «فيه ستات كتير قوى زى كده فاتحه بيوت من دخلها الخاص يعنى أعرف ناس كتيرة كده

ويمكن يكون زوجها موجود بس مش شغال أو شغله مش مستمر فيه على طول أو بيصرف على عيال ثانية من زوجه ثانية..»

تنفق ريم على أسرتها من سعة، فالانفاق الذى تتحدث عنه قد يفوق دخلها (ربما لأنها لم تذكر دخلها من الدروس الخصوصية بشكل كامل)، فالأولاد فى مدارس خاصة، وهى تشترى للمنزل كل ما يحتاجه، وهم يذهبون إلى المصيف كل عام وقد تخرج الأسرة لبعض الترويح، تحتفظ بذهبها الذى اشتراه لها زوجها أيام الزواج، ووالدها قبل الزواج. كما تحرص أيضاً على أن يكون لها مدّخرات ، تعمل على زيادتها لا على إنقاصها لأن المدّخرات تعنى «أزمات الواحد يتحط فيها ووقتها يقدر يصرف على نفسه وما يحتجش لحد أبداً»

ورغم ذلك فإن ريم لها أمنية واحدة أن تستقل بشقة بعيداً عن حماتها ومنزل عائلة زوجها، «لأن راحة الواحد فى بيته مش فى حاجة ثانية». وتؤكد ريم أنها سوف تسعى إلى ذلك، وهى تعى أن الإمكانات المادية للمرأة تجعلها قوية إزاء زوجها «فالست لو مستورة هايكون لها وضعها مع جوزها وتقدر تتكلم معاه فى اللى ليها لأنها مش محتاجة ليه يصرف عليها».

١٤) «النهاردة معاكى فلوس هتجيبى لحمة بكرة معاكيش تجيبى عدس»

رقية تبلغ من العمر ٥٠ عاما، حاصلة على دبلوم تجارة، وتعمل فى مكتبة، متزوجة من زوج يعمل مديراً عاماً بأحد المحاكم، لها منه ثلاثة أولاد وبنت. يعمل اثنان من الأولاد فى وظائف (أمين شرطة + أعمال كتابية) بينما ما يزال الابن الأصغر والبنت الصغرى فى التعليم. تؤكد رقية أنها لا تعرف حدوداً لنقودها أو نقود زوجها، فلا أحد يقسم، «والأمور تسير بالبركة». يبلغ دخل الأسرة الشهرى أكثر من ١٠٠٠ جنيه، والزوجة هى التى تدير أمور الميزانية الأسرية، يأخذ الزوج ما يحتاجه من مرتبه ثم يعطيها الباقى فتنفق منه على طعام الأسرة، وتعليم الأولاد وتتكفل بشراء ملابس الأولاد والبنات، لا تتركهم يشترون بأنفسهم لأنهم يشترون من محلات غالية الأسعار مما يرهق ميزانية الأسرة.

تسير رقية حياة الأسرة وفقا للظروف فإذا توفرت نقود كثيرة تنفق بسخاء، وأن ضاقت تغل يدها، ومن هنا تجعل الحياة تسير، ومن هنا كان قولها «الشعب المصرى بيمشى بالبركة، محدش بيعش كده، النهاردة معاكى فلوس هتجيبى لحمه،

بكره معاكيش تجيبى عدس». وبين العدس واللحمة تسير الحياة سيرتها دون مشكلات.

تهتم رقية اهتماماً شديداً بتجهيز ابنتها، وهى تشترى لها أغراضاً تحتاجها فى زواجها، رغم أنها لم تخطب بعد، ومعظم هذه الأغراض تشترى بنظام الأقساط الشهرية، وهى كلما سددت ثمن شئ تبدأ فى آخر، وتضع لذلك ميزانية شهرية لا تزيد بحال من الأحوال عن ٥٠ جنيها، لا تهتم رقية بشراء أشياء لنفسها، ولكنها تفكر بشكل دائم فى مستقبل أبنائها، تشاجرت مع الزوج كثيرا لأنها كانت تحثه على شراء قطعة أرض لبناء منزل للأولاد عليها، ونجحت أخيرا فى هذا الصراع، واشترت الأرض بالتقسيط، ودفعت هى فيها حتى أنها سددت القسط الأخير وكان فى حدود ٢٠ ألف جنيه من بيع مصاغها ومن نقود اقترضتها من أختها. الأمل فى الحياة لدى رقية أن تبنى لكل من أولادها وبناتها شقة على هذه الأرض. «وتهون الدنيا كلها فى مقابل هذا الهدف»، لا ترويح، ولا طعام وفير، ولا سعة من العيش، وكل شئ بيد الله هو الذى يسير الأمور «كل حاجة بتاعة ربنا ... والأعمار بتاعت ربنا.. وأنا أهم شئ ولادى... على الأقل يقولوا الله يرحمها عملت لنا حاجة».

١٥) «البحر بيحب الزيادة »

مايسة : تبلغ مايسة من العمر ٣١ سنة، وتعمل مدرسة باحدى المدارس الابتدائية الحكومية، وهى متزوجة من محاسب بإحدى الشركات الخاصة، ولديها ابنة لم تدخل المدرسة بعد. تتقاضى مايسة مرتباً شهرياً حوالى ٤٠٠ جنيه بالإضافة إلى الحوافز والبدلات ومجموعات التقوية التى تقدمها بالمدرسة. ومكافأة الامتحانات التى تتقاضاها سنويا. تضع مايسة جزءاً كبيراً من مرتّبها وأى نقود أخرى تحصل عليها فى دفتر توفير فى البوستة إلى جانب رصيد فى البنك بثلاثة الاف جنيه والعائد منها تضعه على الأساس. أما مرتب زوجها فهو يصرف منه على البيت وبيحوش منه فى حسابه الخاص بالبنك بجانب دفتر توفير اقترحته عليه مايسة ليضع فيه لابنتها بعض النقود شهريا.

تحب مايسة شيئين هما اقتناء الذهب «لأن الذهب كل ما يقعد يغلى»، والادخار بالبنك «لأن البنك بيحفظ الفلوس ويزودها علشان لما احتاج الفلوس الاقيها، والقرش الأبيض ينفع فى اليوم الأسود». وقد تعودت مايسة على الادخار من سن مبكرة

حيث وجدت أمها تقوم بهذا السلوك حيث تقول: «اللى عودتنى على كده أمى لأن طلعنا من غير أب فى وسطنا وكانت هى السند لينا من اللى كانت بتحوشه من مرتبها ومن مكافأة نهاية الخدمة فطلعنا كلنا على نفس المنوال عندنا بكره أهم بكثير من النهاردة لأنه مجهول والست لما يكون لها حساب كويس فى البنك هيكون عندها اللى يسترها من الأيام، واللى تلاقيه وقت ما تحتاجه».

تترك مايسة لزوجها حرية إدارة المنزل فميزانية المنزل هى فى الأساس مرتب زوجها بجانب جزء صغير من مرتبها تدفعه إذا احتاج البيت إليه، أما فى أغلب الأحوال فالزوج هو الذى ينفق على متطلبات المنزل وهذا بالاتفاق بينهما حيث تقول: «أنا وجوزى متفقين هو عليه مصاريف الأكل وخدمات البيت ومصاريف العلاج، وأنا عليّ مصاريف البنت من ناحية لبسها فى الصيف والشتاء أو فى المناسبات فكل حاجة خاصة ببنتى أنا اللى بدفع ثمنها من فلوسى الخاصة وكمان باجيب الحاجات الخاصة بيه زى اللبس أو البرفانات وكريمات الشعر كل الحاجات ده باجيبها من مرتبى ومش بأقدر أقول لجوزى عليها لأنى عارفه امكانياته ورده طبعا هيقولى ما انتى بتشتغلي كفى نفسك بقى».

تصرف مايسة كل أمورها بمنتهى العقل، وتحاول أن تزن الأمور حتى لا تقع فى أى ورطة مادية، كما أنها لا تضع نقودها إلا فى الأشياء المفيدة من وجهة نظرها يعنى دفعت منها أول ما نزل حجز «ابنى بيتك» لأن ده مصلحة مشتركة بينا احنا الاثنين ولأولادنا طبعا، أو فى شراء محل تمليك أو شقة «لأن الحاجات ده كل يوم فى الطالع» وتؤكد مايسة على ضرورة أن يكون لدى المرأة رصيد وتحاول أن تنميه دائما «لان البحر بيحب الزيادة»

١٦) «ربنا ما يحوج اليمين للشمال»

تعمل سعاد (تبلغ من العمر ثلاثين عاما) ممرضة فى مركز طبى خاص، تزوجت من عامل فى القطاع الخاص وطلقت منه وهى تعيش الآن مع ابنتها الصغيرة. لا تملك سعاد إلا العائد من عملها، وهى تحاول أن تنظمه بأي شكل إلى درجة أنها تقوم بأدوار مختلفة فى المركز الطبى الذى تعمل فيه (المساعدة فى النظافة – أخذ ورديات ليلة – إعطاء حقن للزبائن .. الخ). تنفق سعاد كل ما تكسبه من نقود على طعامها وطعام ابنتها ودوائهما، يبلغ دخلها الشهرى حوالى ٥٠٠

جنيه، تقول إنها تكفيها بالكاد، بل أنها أحيانا تضطر إلى أخذ بعض الأغراض من منزل والدها، وقد يتكرر هذا السلوك شهريا.

لا تريد سعاد من الحياة شيئا إلا أن تحمى نفسها من الاستدانة . ولهذا فقد جاهدت لكى تعمل من بعد أن طلقها زوجها، ولكى تستطيع أن تسد حاجاتها بنفسها، ولا تمد يدها للغير حتى وإن كان والدها ، «ربنا ما يحوج اليمين للشمال». لذلك هى ترفض دعوة والدها لكى تترك شقتها وتأتى للإقامة معه. تدرك سعاد أهمية العمل بالنسبة لها «لولا الشغل كان زمانى فى حوسه هو اللى مخلى معايا قرش أصرف منه على نفسى وعلى بنتى.. ابو البنت لا يدفع لها أى شئ الا عيديه يمكن على العيد ولاه حاجة.. إنما غير كده أنا اللى قايمه بكل حاجة... ولولا الشغل كنت حُست». لا طموحات لدى سعاد، ولكنها تود لو أنها «تحتكم» على فلوس أكثر وفى هذه الحالة كانت «تقدر تشترى اللى نفسها فيه ويكون عندها شقة تمليك.. وتصرف براحتها.. مش بالمسطرة زى ما هى ماشية دلوقتى»..

١٧) «على قد لحافك مد رجليك»

سميرة : تبلغ سميرة من العمر ٤٥ سنة ، متزوجة من مدرس لغة عربية بإحدى المدارس الثانوية، ولديها طفلة وحيدة رضيعة، تعمل سميرة مدرسة كمبيوتر بمدرسة ثانوية.

تمتلك سميرة قدرات جيدة فى إدارة وتنظيم شئون أسرتها حيث يعطيها زوجها كل مرتبه (بعد أن يأخذ منه مصروفه الشهرى)، كما يدفع لها فلوساً أخرى تأتى إليه من خلال الدروس الخصوصية. وتقوم سميرة بتدبير شئون أسرتها من خلال دخل زوجها وراتبها الخاص «بيديني كل الفلوس اللى بتدخل له، مالهوش دعوه بعد كده بأى حاجة، يعنى مش مسئول لو الفلوس خلصت، أنا اللى باتصرف». تنفق سميرة معظم النقود على الأكل والشرب، وإيجار البيت، وفاتورة التليفون، والدكتور والعلاج، وتدّخر سميرة الجزء الباقى من خلال جمعيات تحرص دائماً على الدخول فيها «بازنق نفسى فى جمعية علشان غير كده مباقدرش احوش»، «والجمعيات ده بتكون عشان لو الواحد وقع فى زنقه وعلشان ادفع قسط الشقة التمليك اللى اشتريناها». كما تؤكد على أنها هى اللى تشترى كل شئ لها ولزوجها ولابنتها الصغيرة «أنا المسئولة عن كل حاجة، وأنا اللى بادفع كل حاجة».

وسميرة حريصة جدا فى إنفاق النقود فهى لا تشترى إلا الأشياء الضرورية والمهمة التى تحتاج إليها بشدة لدرجة أنها أصبحت لا تشترى شيئاً لنفسها على الإطلاق «مبقاش أجيب لنفسى حاجة خالص بأقول البيت أولى، وفى حاجات كتيرة ممكن تتأجل، والواحد لازم يمشى على قده «على قد لحافك مد رجليك». لا تتمنى سميرة من الحياة سوى شراء سيارة حتى ولو مستعملة «بس ده طبعا حلم مش حاسه أنه ها يتحقق» وتؤكد على أن أهم حاجة كانت تتمناها هى الإنجاب حيث تقول «بنتى هى أهم أمنية كانت عندى، ودى أكثر شئ صرفت عليه، والحمد لله ربنا رزقنى بيها، دى صرفت عليها كل اللى ورای واللى قدامى واستلفت كمان لحد ما جبتها عن طريق أطفال الأنابيب»

١٨) «ولادى هما حياتى»

ولاء : تبلغ ولاء من العمر ٤١ سنة، وتعمل مدرسة بإحدى الجامعات الحكومية، وهى متزوجة من مهندس يعمل فى مشروع خاص به، لدى ولاء بنتان أحداهما فى الصف الأول بالجامعة والأخرى ما تزال فى المرحلة الابتدائية.

تتحمل ولاء معظم أعباء الانفاق على الأسرة بداية من الأكل والشرب حتى الانفاق على التعليم الخاص والدروس الخصوصية، ومرتب الشغالة، وفواتير التليفون، وتكاليف الفسح والأكل خارج المنزل، ولبس الأبناء، والمواصلات...الخ. تقضى ولاء معظم وقتها فى العمل فهى تعمل فى شغل خاص «باشتغل فى بحوث كثيرة علشان أقدر أوفر فلوس كويسة أصرف منها على عيالى، لأن عيالى هما حياتى ولازم اخليهم يعيشوا كويس قوى». تزوجت ولاء منذ ١٨ عاما من شاب أدنى منها فى التعليم وذلك على حد قولها «قسمة ونصيب» . ولكنها وقفت إلى جانبه حتى أنهى تعليمه الجامعى، كما أنها قدمت إليه كل ما تملكه من مدخرات ذهبية حتى يبيعها ويبدأ بها مشروعاً صغيراً يكون بداية لحياته المهنية، ولم تأخذ منه أى ورقة بهذا المبلغ وقد لامتها أمها على هذا التصرف لأن «الرجاله ملهمش أمان، وإلا فى إيدك أقرب من اللى فى جيبك واللى فى جيبك أقرب من اللى فى جيب الناس».

تنفق ولاء على المنزل مبلغاً كبيراً شهريا حوالى ٣٠٠٠ جنيه تقريباً يدفع لها زوجها منها ٥٠٠ جنيه زادها منذ عام إلى ٧٠٠ جنيه شهريا. ولا تعرف ولاء الادخار فهى تصرف بسخاء على الأشياء المهمة وغير المهمة «أنا باحب أجيب كل

حاجة ولادى عايزنها علشان ما يحسوش أنهم أقل من أى حد، وعلشان أنا مش هأعيش لهم على طول، ولو على أبوهم هيأكلهم زلط». تتعرض ولاء إلى النقد الدائم من المحيطين بها (أمها وأخواتها) وذلك لطبيعة انفاقها للنقود فهم يرون أنها مسرفة جداً ودائماً ما يقولون لها «وحده غيرك فى المركز ده كان زمانها بقى عندها عربية أو شقة فى منطقة كويسة غير المنطقة الزبالة اللى انتى عايشه فيها، أو حتى شويه دهب تتسندى عليهم فى الزمن ده». ولا ترى ولاء فى نفسها أنها مسرفه ولكنها تحب أن تعيش حياتها بشكل طبيعى وتجيب كل اللى هى عايزه. وترى أن الادخار ممكن أن يكون مفيداً لو كان هناك سعة من العيش. لايوجد لدى ولاء أمنيات كثيرة غير أن يبارك لها الله فى بناتها وتحصل على «اللى نفسها فيه». وتشترى عربية وتنتقل إلى شقة فى منطقة أفضل، وسوف تعمل بجد لتحقيق هذه الأمنيات.

١٩) «الجيب واحد»

عبير : تبلغ عبير من العمر ٤٥ سنة، متزوجة من شيف حلوانى يعمل صباحا فى أندية القوات المسلحة، ومساءً فى أحد محلات الحلويات، ولدى عبير ولدان ما زالا فى المراحل المبكرة من التعليم. تعمل عبير اخصائية نفسية باحدى المدارس الحكومية وأصبحت الآن تعمل فى مجال التوجيه النفسى بالوزارة.

تنفق عبير على المنزل من دخلها الذى يقدر بحوالى ٧٠٠ جنيه ودخل زوجها حوالى ١٠٠٠ جنيه شهرياً، وتدبر عبير احتياجات المنزل بمهارة شديدة إلى جانب دخولها فى جمعيات لتسد منها النفقات السنوية مثل المصيف، ومصاريف المدارس. وتنفق عبير كل دخلها على المنزل برضا تام «أنا ليه بالفعل أموالى الخاصة فدخلى الشهرى لا ينازعنى فيه أحد ولكن معظمه بيتصرف على البيت والأولاد بكامل ارادتى وبدون أن يفرض علىّ زوجى كده، فسعادة البيت هى أهم حاجة فى حياتى، وكمان الجيب واحد». لدى عبير مدخرات قديمة قد وضعتها لها والدتها قبل الوفاة فى دفتر توفير بالبنك وتحرص عبير على الاحتفاظ بها «لأنها من العزيزة الغالية»، وتحاول أن تنساها تماماً؛ وعلى الرغم من أهمية هذه المدخرات بالنسبة لها إلا أنها لم تتوانَ لحظة فى سحبها عندما احتاج إليها زوجها فتقول «احتاج زوجى فى مرة لفلوس علشان يعمل مشروع ومكنش معاه مبلغ يكفى فسحبت معظم أموالى

الخاصة علشان يكمل الفلوس، ومرة كان تعبان واحتاج عملية فورا فسحبت من الفلوس اللى كنت شيلها على جنب لوقت زنقة».

ليس لدى عبير طموحات مادية «ليس لى أى طموحات مادية كل ما اتمناه أن لا يكون هناك أى حرمان خاصة للأولاد فكل طموحاتى أن أوفر لهم احتياجاتهم وطلباتهم والحمد لله ده اتحقق، وأن كنت باتمنى أن أدخر لهم مبلغ بسيط للمستقبل يكون سند لهم، وده طبعا صعب جدا فى ظل الظروف الراهنة والغلا اللى احنا فيه فيادوب أحنا بنوفر حاجاتهم الأساسية بالعافية ومش عايزين نحسسهم أنهم ناقصهم شئ أو أنهم أقل من أى حد»

٢٠) «الضمير أساس البركة فى الفلوس»

حفصة : تبلغ من العمر ٤٠ سنة، متزوجة من طبيب أسنان يعمل في أحد المستشفيات الحكومية، ولديه عيادة خاصة فى إحدى المناطق الشعبية، لدى حفصة من الأبناء أربعة ذكور ما زالوا فى مراحل التعليم المبكرة(مدارس خاصة). وتعمل حفصة طبيبة أسنان فى أحد المستشفيات العامة.

تنفق حفصة على الأسرة من دخلها ودخل زوجها «فلوسه وفلوسى واحدة، أنا بحط الفلوس كلها معايا، ولما بنحتاج حاجة بناخد من الفلوس دى ولكن طبعاً فى أولويات». وتحدد حفصة أولويات الإنفاق فى الطعام والشراب ومصاريف المدارس الخاصة، وقسط الشقة التمليك والمصروفات اليومية المعتادة، وتؤكد على أن حاجات كثيرة جداً لا تستطيع أن تشتريها لنفسها« تقريبا مفيش حاجة بشتريها لنفسى إلا إذا كنت محتاجها قوى، وده لأن الفلوس مش بتكفى حتى ولادى دلوقتى مبقدرش أجيب لهم كل حاجاتهم، يعنى مثلا ابنى الكبير السنة دى مجبتش له لبس مدرسة ولبسته لبس السنة اللى فاتت، وولادى السنة دى كلهم مجبتش لهم لبس عيد، هأعمل أيه».

تؤكد حفصة عدم حرصها على أن تكون لديها أموال خاصة بها فتقول «مفيش حاجة عندى اسمها أموالى الخاصة أنا شغلى كله للبيت وللأولاد، وفى مرة حاولت أن احتفظ بمرتبى، وقعدت كام شهر حوشته ووصل لمبلغ كويس، لكن معرفتش أحتفظ به، أول ما واجه جوزى مشكلة عند تجديد العربية واحتاجه فاخذه». وترى حفصة أن الرضا والبركة هى أساس السعادة داخل الأسرة «البركة أساس لازم

تكون موجودة، ورضا النفس والتعامل مع ربنا وتحكيم الضمير هو أساس وجود البركة فى الفلوس والصحة والأبناء».

تقضى حفصة وقت فراغها فى المنزل وأحياناً فى المسجد، ولا تتمنى من الحياة شيئاً سوى أن يكون هناك فلوس لمستقبل الأولاد، «وأجيب لولادى حتة أرض علشان يبنوها، وأوفر لهم شقق وده لأنهم ولاد ولازم يكون عندهم شقق، ولو ربنا أراد نعمل حجة أو عمره».

رابعاً : استخلاصات عامة

تقدم لنا اللوحات العشرون التى عرضناها فيما سبق صوراً مختلفة لعلاقة المرأة المصرية العاملة بالنقود، وقد عرضناها إزاء فرضية «فضاء القوة فى مقابل فضاء العيش». ونحاول الآن أن نقرأ هذه اللوحات لتجميع الخطوط المتفرقة فى إطار واحد، وفى ضوء المقدمات النظرية التى انطلقنا منها :

١. يمنح العمل المرأة فرصة للحصول على دخل خاص بها. ولاشك أن هذا الدخل يمنحها قدراً من القوة. وتتبدى هذه القوة فى المساهمة التى تقدمها المرأة فى ميزانية الأسرة. فجميع اللوحات التى عرضناها تشهد بأن المرأة تعمل من أجل أسرتها وأن النقود التى تكسبها تتوجه إلى الأسرة، إلا فى بعض الحالات القليلة التى تحرص فيها المرأة على أن تستقل بدخلها، وتوجهه وجهة مغايرة بعيداً عن ميزانية الأسرة. ولا تبدو القوة فى المساهمة فى ميزانية الأسرة فحسب، بل تظهر أيضا فى الدور الذى تلعبه المرأة فى ترتيب هذه الميزانية، وفى توجيه بنودها وفى شراء متطلبات المنزل، والأولاد، والزوج. ثمة قدرة إدارية لبنود ميزانية الأسرة وتوجيهها لدى معظم الحالات التى سردنا لوحات عنها. ففى معظم الحالات تحفظ نقود الأسرة (من الزوج والزوجة) فى «محفظة» الزوجة وهى التى تديرها وفقاً لبنود يتفق عليها بين الزوجين. ويحدث فى الحالات المتطرفة أن يحصل الزوج (والزوجة أيضاً) على مصروف شهرى أو يومى مثلهما مثل الأولاد. وحتى فى الحالات القليلة التى يسيطر فيها الزوج على استحواذ نقود الأسرة فى «محفظته» فإن النقود تنتهى مرة أخرى إلى الزوجة بشكل يومى لكى تدبر شئون المنزل. يبدو عالم البيت هنا وكأنه ملك للمرأة، تدير شئونه المادية كيفما شاءت، نقصد أمور تدبير شئون المنزل. تؤكد هذه النماذج على نحو غير مباشر إعادة إنتاج أنماط

ثقافية جامدة، كالقول بأن عالم الأسرة هو عالم المرأة، وأن عالم الرجل أوسع من عالم الأسرة؛ وكالقول بأن الرجل أعلى وأكبر من الأمور التافهة المتعلقة بشراء لوازم المنزل، أو توجيه ميزانية الأسرة أو الأمور المتعلقة «بالبيت» بشكل عام.

٢. تكشف المادة التى عرضناها عن ثلاثة أنماط رئيسية لعلاقة المرأة المصرية العاملة بعالم النقود :

– النمط الأول : وهو الأكثر شيوعاً، وهو الذى يمكن أن نطلق عليه «**النمط الاجتماعى**» حيث تدمج الزوجة نقودها مع نقود زوجها، وتكون إدارة النقود فى يد الزوجة، مع ترك هامش من الاستقلال فى جزء بسيط من دخل كل فرد يتصرف به كيفما يشاء (غالباً ما يستمده الزوج فى شراء السجائر أو الملابس، وغالباً ما تستمده الزوجة فى مجاملات أصدقائها أو شراء ملابس لها أو لأولادها، أو تدّخره إن شاءت).

– والنمط الثانى : يمكن أن يسمى **بالنمط الانسحابى** (أو التابع)، حيث تنسحب الزوجة من مسئولية حفظ النقود وإدارتها، وهى تستسلم كلياً لإرادة الزوج، وتعطيه نصيبها فى ميزانية الأسرة ليكون فى «محفظته» وهو يقوم بدوره بإعطائها مصروف المنزل كل يوم أو كل أسبوع. ويلاحظ بشكل عام أن هذا النمط ليس نمطاً متكرراً، (فلم يظهر إلا فى ثلاث حالات فقط من بين عشرين حالة). ويلاحظ أيضاً أن هذا النمط يسود فى المستويات التعليمية الدنيا، ومن ثم فى مستويات الدخل المنخفضة . ولقد عبرت النساء عن السبب فى هذا الخضوع للرجل بعبارات تدل على سيطرة الرجل، وعلى سيادة القيم الذكورية «عشان يكون هو المسئول، وعشان هو الرجل برضه»، «هو اللى عايز كده، وأنا مقدرش أقوله لا» فى حالة نقص الموارد المالية للأسرة ؛ كما تدل عبارات الزوجات أيضا على أن الزوجة لا تريد أن تتحمل المسئولية فى حالة انخفاض الدخل ، وقد تريد أن تجعل الزوج شاهداً على بنود الانفاق التى تقوم بها كل يوم.

– والنمط الثالث : هو نمط «**المراة القوية**»، التى تستقل بنقودها كلياً أو بجزء منها على الأقل ولا تسمح لزوجها بمسها من قريب أو بعيد. وهذا النمط قد يكون متكرراً، حيث ظهر فى (سبع لوحات) من بين عشرين حالة. ويظهر داخل هذا النمط أربعة أنماط فرعية:

(١) نمط «**المرأة الحذرة**» التى تقطع جزءاً من دخلها لنفسها تدخره أو تدخل به جمعيات ادّخارية، لكى تضمن لنفسها رصيداً مادياً فى حالة بعد الزوج عنها.

(٢) نمط «**المرأة المرفهه**» التى لا يريد زوجها منها شيئاً، ويترك لها نقودها تفعل بها ما تشاء.

(٣) نمط «**المرأة الوحيدة**» (كالمرأة المطلقة أو الأرملة) التى تريد أن تثبت للعالم أنها قادرة على الاستمرار فى الحياة رغم كل المصاعب، وأنها قادرة على أن تربى أولادها دون أن تلجأ كثيراً إلى زوجها السابق أو إلى الأسرة، أو حتى إلى الاستدانة.

(٤) نمط «**المرأة الشاردة**» التى تأخذ من زوجها ما يجود به – قل أو كثر – وتنفق هى بقدر من السخاء على أولادها، مع تأجيل الحاجات الطويلة المدى.

٣. ورغم أن دخل المرأة المستقل يمنحها قدراً من القوة، التى تتبدى فى أحسن مظاهرها فى إدارة ميزانية الأسرة، إلا أن معظم النساء العاملات يحرصن على أن تكون مساحة العيش أوسع من مساحة القوة. وربما يكون هذا الحرص قد نشأ من قبل الزواج. فالأسر هنا تكونت عبر التقاء أفراد يعملون أو يسعون إلى العمل. ولقد كان واضحاً فى معظم الأسر قبل أن يتم الزواج أن تكاليف العيش فى الأسرة مسئولية مشتركة، وكثير من النساء أخذت هذا الاتجاه عن أمهاتهن اللائى كن يسهمن أيضا في حياة الأسرة، وحتى إذا لم يكن موروثاً عن الأم، فقد حتمته ظروف العيش الشاقة، أقصد الموازنة بين مدخلات الأسرة ومخرجاتها، أو بين متطلباتها ومواردها، فى هذا الظرف يصبح الرضوخ للعيش المشترك أمراً حتمياً. ويبدو الحرص على العيش المستمر المستقر فى الأسرة فى مظاهر عديدة اتضحت من الدراسة الميدانية :

* الحرص على تأكيد فكرة الستر فى الحياة، وأن الستر يعد هدفاً فى حد ذاته بالنسبة للمرأة.

* وتتوارى أمام تأكيد فكرة الستر أهداف أخرى منها الإدخار وكنز النقود. فثمة اندماج وتماهى بين الستر الذى يظلل المرأة ، والستر الذى يظلل الأسرة، فالمرأة قد تعتبر أن «انكشاف» حالة الأسرة المادية هو «انكشاف» لها، وأن «ستر» الأسرة هو «ستر» لها. فالستر «المالى طبعا» هو مؤشر نجاح المرأة ، بل أنه يمنحها وجوداً اجتماعياً خاصاً.

* تأكيد عدم الرغبة فى الاقتراض من الآخرين حتى وإن اضطرت المرأة فى بعض الأحيان إلى بيع حليها.

* عدم رغبة الزوجة فى شراء أشياء خاصة كثيرة.

* تحمل الحرمان فى معظم الأحيان وتأكيد فكرة الصبر فى علاقته بالحرمان، فالمرأة لا يجب أن تقترض من الغير، ويجب أن تؤجل حاجاتها الشخصية من أجل الأسرة، وقد يصل الحرمان إلى مداه فى الأسر الفقيرة، إلى حد الحرمان من بعض الأكلات أو الحاجات البسيطة للأسرة.

* قدرة المرأة على المواءمة الدائمة، والتكيف الدائم مع الظروف المتغيرة، والظروف الصعبة. ومن الآليات التى تستخدمها المرأة للتكيف مع الظروف الصعبة شراء سلع رخيصة، شراء سلع بديلة، تأجيل شراء سلع معينة، شراء سلع بالتقسيط (خاصة السلع المعمرة كالأدوات الكهربائية) الدخول فى الجمعيات الشهرية.

٤. وقد يكون مفيداً أن ننظر بعمق أكبر إلى الحالات التى تسيطر فيها المرأة سيطرة كاملة على عالم النقود، وتظهر هذه الحالات فى الظروف التى لا تظهر فيها مشاركة حقيقية من الرجل، وأنا لا أفكر هنا فى الحالات التى يترك فيها الزوج لزوجته حرية التصرف فى مالها الخاص تشترى منه ما تشاء، فهذا الظرف يعد ظرفاً خاصاً جداً، وقد يرتبط بظروف العلاقة بين الزوج والزوجة، أو بتوجهات خاصة لدى الزوج، أو بظروف الرفاه الاقتصادى للأسرة. ولدينا بين اللوحات العشرين لوحة تدل على هذا النمط حيث تؤكد الزوجة أن زوجها لا يطالبها بأى شئ، وأنها تضع مرتبها فى دفتر توفير أو تشترى منه ذهباً. هذه المرأة لا تشعر بالمسئولية المالية تجاه الأسرة، وتضع اموالها تحت تصرفها الشخصى، فهى قد تشارك بشراء هدايا لأبنائها أو زوجها فحسب. أقول أننى لا أفكر فى هذه الحالة قدر تفكيرى فى الحالات التى تظهر فيها مسئولية اجتماعية كبيرة للزوجة تجاه أسرتها، وتجاه تحمل كل الأعباء المادية أو معظمها. وتدلنا اللوحات التى عرضناها آنفا، أن هذا السلوك يظهر فى حالتين :

– الحالة الأولى : حالات الطلاق التى ينصرف فيها الزوج السابق كلياً عن زوجته وأولاده، ولا يتجه إليهم بأى دعم مالى. حيث تكشف المادة الميدانية هنا عن أن المرأة فى هذا الظرف قد لا تلجأ إلى الحصول على حقوقها وحقوق أولادها عبر القنوات القانونية أو حتى العرفية (هذا اللجوء يحدث فى حالات كثيرة) ولكنها تتجه وجهة أخرى تقوم على التحدى من ناحية وتحمل المسئولية الاجتماعية من ناحية

أخرى، وذلك من أجل أن تحتفظ بالأولاد، ومن أجل ألا تعرضهم لظروف اجتماعية ونفسية صعبة. لذا تحرص المطلقة – كما فى اللوحة رقم (٥) – على أن تراكم النقود، فتستقيل من عملها الحكومى، وتنخرط فى إدارة مشروع خاص من خلال قناعة تقول بأن «قرشك هو صاحبك» «والإنسان من غير فلوس ملوش لازمة» وهى لا ترغب فى مد يدها إلى زوجها، لأنه لن يعطيها شيئاً. فى هذا الظرف تبنى الزوجة صرحاً من صنعها وليس صنع الرجل، وتفخر بذلك أيما فخر.

– الحالة الثانية : حالات التباين بين الزوج والزوجة فى المستوى التعليمى لصالح الزوجة، والتباين أيضاً فى التوجهات نحو النقود، فى هذه الحالة ، تصبح الزوجة قائدة الأسرة، وهى التى توجه كل شئ فيها، حتى الزوج نفسه الذى يقل فى المستوى التعليمى، هنا يظهر – وكما تعكس اللوحة رقم ١٨– نوع آخر من المسئولية الاجتماعية، المشوبة بالتحدى أيضا. ثمة تحدٍ هنا للظروف، وهو تحدٍ يتجلى فى الإصرار على الزواج من زوجها رغم اختلاف المستوى التعليمى، ثم مواصلة التحدي بالإصرار على أن يكمل تعليمه، ومواصلته أيضا بالإصرار على بيع الذهب الخاص بها من أجل مشروع للزوج. وفى مقابل شُحّ الزوج تثبت الزوجة شعوراً قوياً بالمسئولية، فتعمل كثيراً، وتكسب كثيراً، وتعطى أولادها كل ما يحتاجونه، وتقدم فى سبيل ذلك تضحيات خاصة بحرمانها من رموز المكانة.

٥– ولا يمكن فهم علاقة المرأة العاملة بالنقود دون فهم علاقتها بالأبناء. قد نتذكر هنا ما أشارت إليه البحوث من أن المرأة عندما يزيد دخلها توجهه للإنفاق على الأبناء، وتبدو هذه النتيجة متحققة هنا على نحو كبير، وقد تضيف اللوحات التى عرضناها دوراً آخر لهذه العلاقة؛ فثمة متغيرات يمكن أن تفسر هذه العلاقة بين الأم والأبناء، أو ذلك الحرص الشديد من جانب الأم على توفير حاجات أبنائها دون تردد، وربط استقرار أسرتها واستمرارها باستقرار أوضاع أبنائها ورضاهم. ولقد عبرت اللوحات التى عرضناها عن هذا الواقع بطرق عديدة يمكن حصرها فيما يلى :

– الرغبة فى بناء بيت مستقل للأولاد، وهذه إحدى الأمنيات التى تكررت كثيراً.

– التوحيد بين حياة الأولاد وحياة الأم، فالأولاد هم كل شئ فى الدنيا ، وهم الحياة، وهم الهدف منها.

– تقديم الأبن أو البنت على النفس . فله (أو لها) الأولوية المطلقة، ولو الابن «عايز خلاص بلاش أنا».

– الحرص على أن يكون للأولاد مدّخرات مستقلة، وتبرر ذلك أحياناً بالقول بأن رضا الأم هو من رضا أولادها، والرضا هنا قد يعنى إشباع حاجات الأولاد وضمان مستقبلهم.

– العمل على تجهيز البنات للزواج منذ الصغر، إما بتوفير نقود لهم، أو شراء بعض مستلزمات الزواج خاصة الأدوات الكهربائية والأدوات المنزلية.

٦– وتشي البيانات بنتيجة هامة هى أنه بالرغم من حرص المرأة العاملة على استقرار واستمرار حياتها، وعلى ضمان مستقبل أبنائها، فإن ثمة قلقاً يراودها بشكل دائم نحو استمرار هذا الاستقرار. ويظهر ذلك فى الحالات التى تحرص على الإدخار، أو التى تحرص على إدخار مبالغ بسيطة لنفسها من مصروف المنزل. ونصادف هنا مواقف ثلاثة تشكل أبعاد هذا القلق :

أ– الأول يظهر بشكل ظاهر لا مواربة فيه، حرص شديد على اقتناء الذهب، وعلى الادّخار، وإعلان ذلك صراحة من خلال التأكيد على اعتبار أن «القرش الأبيض ينفع فى اليوم الأسود» وقد تحرص الأسر على تنشئة بناتها على هذه القيمة، وأن تحصِّن نفسها ضد الزمن وقسوته– بما فيه قسوة الزوج– وتدفعها إلى الإدخار فى سن مبكرة ويظل ذلك ملازماً لها عندما تكبر وتصبح زوجة.

ب– وقد يظهر هذا السلوك فى شكل خوف ظاهر أو مستتر من الزوج، وعدم ضمان استمراره فى العلاقة الزوجية. وقد تكون الزوجة فى هذه الحالة فى حالة مستقرة من العيش، ولكن يراودها خوف من أن زوجها لايكون «جدع» معاها، أى أن يطلقها وقتما يشاء.

ج– وفى بعض الحالات فى الأسر الأكثر حرماناً لا يكون للزوجة من وسيلة للادّخار البسيط الا عبر توفير مبلغ بسيط جداً من المصروف اليومى لكى تصرف منه على أمورها الخاصة، خاصة مجاملاتها مع صديقاتها فى المناسبات. تتحول هذه النقود البسيطة فى هذا الظرف إلى رأس مال اجتماعى للمرأة يجعل لها وجهاً مقبولاً فى حيز الجيرة وبين الأقارب والأصدقاء. وتحتاج قضية تحويل النقود الخاصة بالمرأة إلى رأس مال اجتماعى إلى بحث خاص. فيبدو أن الأمر كله يتعلق بهذا الموضوع، فالحرص على الاستقرار الأسرى، وعلى مستقبل الأبناء، وعلى أداء الواجبات الاجتماعية، كلها أمور تتعلق برأس مال اجتماعى تحاول المرأة أن تحققه من كمية النقود البسيطة التى تمتلكها.

٧- وأخيرا فإن للمرأة طموحات مادية مثلها مثل الرجل. والمتأمل للطموحات المادية التى ظهرت فى اللوحات التى اعتمدنا عليها يكتشف أنها: **أولاً**: تتدرج وفقاً للمستوى الاقتصادى الاجتماعى، حيث تتدرج من الأمل فى شراء «صينية كنافة» إلى الأمل فى شراء منزل أو بناء منزل أو شراء سيارة. و**ثانياً** : أنها تعكس حياة المرأة وسيرتها، فإذا كان الطموح المادى لديها كبيراً، وإذا كانت قد حققت جزءاً كبيرا من طموحاتها، فإن الطموح المادى يصبح هدفاً معلناً ومبرراً بشكل واضح. **وأخيراً**: فإن معظم الطموحات المادية تنعكس فى قضية تأمين المستقبل للأسرة وللأبناء وللزوجة نفسها فى بعض الأحيان.

خاتمة :

حاولنا فى هذا البحث أن نتلمس علاقة المرأة المصرية العاملة بعالم المال. وانطلقنا من فرضية مفادها «أن النقود بالنسبة للمرأة العاملة ليست وسيلة لخلق فضاء للقوة والاستقلال فحسب، بل هى وسيلة لخلق فضاء من العيش المستقر». ولقد أكدت المادة الكيفية التى اعتمدنا عليها، والتى قدمناها فى عشرين لوحة مختصرة، إمكانية صدق هذه الفرضية مع تعديل أو قل تطوير فيها؛ ما يؤكد أن النقود ليست وسيلة لخلق فضاء للعيش مستقر فقط، بل هى وسيلة لتأمين المستقبل، ولضمان حياة كريمة للأطفال، ولخلق رصيد من رأس المال الاجتماعى الذى يمكن المرأة من أن تحقق استقراراً اجتماعياً ونفسياً، وتوازن بين الأهداف المتعددة والمتعارضة أحياناً، كما توازن أيضاً بين الأهداف الخاصة بها والأهداف الخاصة بالأسرة والأبناء.

وتقودنا هذه النتيجة إلى أن نؤكد فى النهاية على أن العلاقة بين المرأة والمال هى علاقة معقدة تتداخل فيها متغيرات متعددة، ويحتاج فهمها بعمق إلى دراسات تفصيلية حول موضوعات قد لا تبدو قريبة من الموضوع الأصلى، مثل علاقة المرأة بالنقود فى عالم الطفولة، والتنشئة المالية للمرأة، والتاريخ الزوجي لها، وخبرة الزواج وشروطه، وطبيعة العلاقات المالية للمرأة فيما قبل الزواج وبعده. إننا هنا بصدد علاقة أكثر تعقيداً من الطرح المبسط المرتبط بالعلاقة بين تملك المرأة للنقود وتملكها للقوة، وإن مراجعة هذه العلاقة فى السياق العربى تحتاج إلى بحوث عديدة.

نساء كاتبات وحقوق الملكية في لبنان

مود اسطفان- هاشم

تعتبر حقوق التأليف من مصادر الدخل المتصاعدة في هذا العصر مع تعاظم مكانة الصناعات الثقافية في الاقتصاد العالمي. فهي ساهمت في إجمالي الناتج القومي بمعدل ٧٪ لعام ٢٠٠٤[١] وبنسبة ٢,٥٣٪ من الناتج القومي في لبنان في العام ٢٠٠٥[٢]. ويبقى قطاع الكتاب والمطبوعات القطاع الأهم فيها حيث شكل ما يقارب الثلث منها في لبنان.

ترتكز هذه الصناعات على الإبداع أو الابتكار، فالمؤلف أو المخترع أو الفنان هو العنصر الأساسي والمركزي في الإنتاج. بذلك، يكتسب النموذج الأول الذي يؤلفه (المخطوطة أو اللوحة مثلا، أو العمل المسرحي مثلا) القيمة الأكبر نظرا لصعوبة التأليف والابتكار اللذين يتطلبان قدرات ذهنية وفنية نادرة، أما عملية نسخ العمل فسهلة وسريعة إذ ترتكز على تقنيات متوافرة (مهارات الطباعة مثلا). والمفارقة أن المؤلف لا يجني من عمله إلا القليل رغم دوره المحوري في الإنتاج، وهو يتقاسم أرباح المنتج الفني مع عدد من الفاعلين

(١) برنامج الأمم المتحدة الإنمائي.- تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام ٢٠٠٤.

(٢) Melki, Roger, The Economic Contribution of Copyright-based Industries in Lebanon. July 2007.

الضروريين كالناشر والمطبعة وبائع الكتب، كما أن حقوق المؤلف التي وضعت لتحمي حقه في الاستفادة من عمله، تنتهك بشكل يومي، فتنسخ أعماله وتباع بالعلن، دون أي عاقبة تذكر.

تتميز الصناعات الثقافية – ومنها الكتاب – في ازدواجية قيمتها، فهي من جهة تحمل قيمة مالية وتخضع لقوانين التبادل التجاري، وتحمل من جهة أخرى رؤية فرد وقيمة رمزية لا تقدّر مادياً ولا يمكن إخضاعها لقوانين السوق. ورغم الاحترام الكامل تجاه الكتّاب، لا ينظر في بلادنا إلى عملهم كمهنة ويضطرون في غالب الأحيان إلى كسب لقمة عيشهم من أعمال أخرى. كما تفتقر المهن الفنيّة في عدد من البلدان العربية ومنها لبنان إلى قوانين تنظيمية وتأمينات اجتماعية، رغم مطالبة الفنانين والأدباء بها تكراراً. ورغم أن السلطات في بلدان الخليج العربي باتت منذ مدة تكرّم المؤلفين وتمنحهم الجوائز الكريمة، إنما تبقى المبادرة فعل الأمير وخاضعة لسلطته واهتماماته الخاصة.

يطمح هذا المقال إلى إلقاء الضوء على علاقة الأدباء بمهنة التأليف وموقفهم من حقوقهم المادية والمعنوية في محيط لا يزال التفرّغ فيه للتأليف نادراً جداً. ويميل البعض إلى اعتبار التأليف أقرب إلى الهواية منه إلى الاحتراف وينعكس هذا الموقف في غياب الصناعات الثقافية عامة عن القطاعات الاقتصادية المتعارف عليها رسمياً[١].

وإن كان المؤلفون الرجال يجهدون لإثبات أنفسهم كمحترفين يمارسون مهنة ذات حقوق محترمة ولها تنظيمها المستقل، فكيف بالحري المؤلفات اللواتي يمتهنّ كتابة الرواية بشكل خاص وعلاقتهن بتلك المهنة وبالأخص ما يجنين من مقدرات مادية وسلطة معنوية.

الرواية هي النوع الأدبي الأكثر رواجاً في سوق الكتاب، ومن بين أنواع الكتب التي تتصدّر أفضل المبيعات في معارض الكتب، وقد دخلتها النساء بشكل مطرّد خلال العقد المنصرم. نأمل أن يلقي هذا المقال الضوء على نماذج من المواقف المتباينة أو المتشابهة بين الروائيين والروائيات تجاه الدفاع عن حقوقهم ونظرتهم إلى مهنة الكتابة وتصرفهم تجاه أرباح مبيعات الكتب. الرهان مزدوج بالنسبة للنساء: فهن– مثل كل النساء العاملات– يكتسبن استقلاليتهن من خلال عملهن

[١] والدليل على ذلك انها لا تندرج بعد ضمن الإحصاءات الرسمية للقطاعات الاقتصادية

واستقلالهن المادي، وهن كمؤلفات، أسوة بالمؤلفين، يُفترض أن يكتسبن الاعتراف المهني والاستقلالية الفكرية من خلال ما يعود إليهن من أرباح بيع مؤلفاتهن. فللأديبة مصلحة مزدوجة في الحصول على حقوقها المادية. والسؤال هو : هل تدافع الأديبات عن حقوقهن بشراسة أكبر من الأدباء؟ أم بالعكس تراها مستضعفة في عالم النشر الذي يطغى عليه الطابع الذكوري؟ أم أن الدفاع عن حقهن في التعبير يشكل الأولوية بالنسبة لهن فيتغاضين عن حقوقهن المادية؟

لقد اخترنا الروائيين الذين ترجمت أعمالهم الى لغات غربية (فرنسية، انكليزية، المانية، ألخ) لمقارنة علاقتهم بالناشرين اللبنانيين والناشرين الأجانب، وكذلك علاقة المؤلف بسوق الكتاب. إذ يبدو من الأسهل أن تعطي نتائج المبيعات في الغرب صورة واضحة عنها، بينما تبقى غامضة مخفيّة على المؤلف في السوق العربية نظرا للتزوير وغياب الشفافية وضعف القراءة في العالم العربي.

لقد قمنا بمقابلة ثلاثة روائيين هم إلياس خوري وحسن داوود ورشيد الضعيف، وثلاث روائيات هن إيمان حميدان يونس واحلام مستغانمي وعلوية الصبح. وركّزت المقابلات على دراسة علاقة المؤلفين بالناشرين اللبنانيين والأجانب متناولة الأرباح التي يجنيها المؤلفون من بيع رواياتهم، ونظرتهم لسوق الكتاب بشكل عام ومعنى الشهرة والنجاح بالنسبة لهم. كما حاولنا من خلال المقابلات إلقاء الضوء على مصير علاقة المؤلّفين بكتبهم بعد أن تُطرح في الأسواق وبعد أن تتحوّل إلى منتجات يساهم في صنعها عدد من الأفرقاء كالرسامين والمترجمين والناشرين.

١. تطور مفهوم حقوق المؤلف:

كلمة مؤلف auteur, author وفي اللاتيني auctor ومن فعل augendo « augmentant » فالمؤلف هو من يزيد ويضيف (على الرواية أو الخبر) . وهو ليس بعيدا عن المعنى الذي فسّر به الياس خوري كلمة مؤلف بأنها تأتي من فعل التوليف[٣].

ولكن في كلمتي auctor وauctoritas معنى أقوى من التوليف أو الزيادة، فهي تحمل معنى المسؤولية والسلطة، وهو المعنى الذي اكتسبته الكلمة في القرون الوسطى، فالمؤلف غير الكاتب، المؤلف هو صاحب الكلمة الصحيحة والمسؤولة.

(٣) الياس خوري. مقابلة بتاريخ ٢٠٠٨/١١/٢٧

يحمل رسالة إلهية augur (في القرون الوسطى) ، قبل أن يصير هو الأصل والأساس (في عصر التنوير) . فللمؤلف مسؤولية وسلطة على عمله، هو من يقرّر نشر عمله وهو من يعاقب عليه أو يكافأ عليه ويحق له أن ينتفع منه.

لم يكتسب المؤلف شخصيته القانونية قبل القرن السابع عشر في أوروبا عندما كان الملك يعطي ترخيصاً للمؤلف كي يطبع عمله ويبيعه وللمخترع كي يستفيد من تصنيع مبتكره وبيعه. ولم يتحرّرالمؤلف من سلطة الملك ويكتسب الحق في التعبير المستقل الا بعد أن ثار على السلطة الملكية في فرنسا (١٧٨٩) وفي الولايات المتحدة (الاستقلال من الملكية البريطانية ١٧٨٩). وعرف هذا القرن أيضاً انتشاراً لنظام براءات الاختراع في بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة، وكان للثورة الصناعية التأثير الأكبر في الاعتراف بحق المخترع باستثمار مبتكراته، وترسيخ فكرة الملكية الفكرية وكان الهدف منها تشجيع الإبداع العلمي .

مع انتشار القراءة والطلب على الكتاب، صار التأليف مجالاً للكسب المادي فعرف القرنان الثامن عشر والتاسع عشر أولى التشريعات الوطنية لحقوق المؤلف. طبّقت تلك المقرّرات على الاختراعات الصناعية وعلى الأعمال الأدبية خاصة مع توسّع سوق الكتاب بين الدول الأوروبية المختلفة. كما ناضل الأدباء لتكريس هذا الحق وتعميم تطبيقه في أرجاء أوروبا، وكان في قيادتهم فكتور هوغو Victor Hugo الذي نادى بتحرير المؤلف من الترخيص الملكي واعتباره مالكاً لكتابه:

« L’écrivain propriétaire, c’est l’écrivain libre. »

وقد أدّت جهود الأدباء الأوروبيين بقيادة هوغو Hugo إلى عقد اتفاقية برن عام ١٨٨٦ التي تحمي حقوق المؤلف على الصعيد الدولي.(٤)

(٤) «يتمتع المبدع الأصلي للمصنف المحمي بموجب حق المؤلف وورثته ببعض الحقوق الأساسية إذ لهم الحق الاستئثاري في الانتفاع بالمصنف أو التصريح للآخرين بالانتفاع به بشروط متفق عليها. ويميّز القانون الفرنسي بين الحقوق المعنوية والحقوق المادية. تحمي الحقوق المعنوية شخصية المؤلف واحترام اسمه، فللمؤلف الحق في أن يقرّر نشر عمله، والحق بأن ينسب العمل اليه (حق الأبوة)، والحق بأن يعترض على أي تعديل لعمله أو تحريف أو تشويه سمعته ، وأن تحترم الأعمال المشتقة روحية عمله الأصلي؛ وللمؤلف أيضا الحق بسحب عمله من التداول (مثلا إذا اعتبر أن عمله لم يعد يعبر عن أفكاره ومواقفه الحالية). والحقوق المعنوية لا تنتفي مع مرور الزمن. أما الحقوق المادية فتتعلق باستثمار العمل الفكري والاستفادة بمردوده المادي. وهي محدودة زمنيا (بعد وفاة المؤلف بخمسين سنة في الإجمال، وقد مددت هذه المهلة عام ١٩٩٧ في أوروبا إلى سبعين سنة

كان لتطور فكرة الملكية الفكرية عوامل عديدة، منها توسّع سوق الكتاب بفضل انتشار التعليم في أوروبا، وتنظيم جديد لصناعة الكتاب، حيث بدأت تتشكل دور نشر مستقلة عن المطابع، وتنمو من مهنة عائلية صغيرة الى مؤسسات رأسمالية كبيرة. وكان نتيجة ذلك تغيّر في موازين القوى بين الفاعلين في قطاع الكتاب، رافقه تغيير في توزيع الأدوار بين المؤلف والناشر والمطبعة وبائع الكتب، وكيفية اقتسام الأرباح بينهم.

توسع المفهوم فيما بعد ليشمل الإنتاج الفني على أنواعه، وبدا الصراع حاداً على الحقوق المتعلقة بالانتاج الموسيقي والسمعي البصري بشكل خاص بعد أن طغى على الصناعات الثقافية الأخرى من حيث حجم الأسواق. ولا شك أن تحوّل الاقتصاد العالمي إلى اقتصاد معلومات دفع معركة حقوق المؤلف الى صدارة القضايا التي تثار في العالم. فعملت الدول الغربية على تشديد العقوبات (انتشرت عبارة «قرصنة» لوصف انتهاك حق المؤلف واعتباره جريمة) وإطالة مدّة حماية الحقوق المادية للمؤلف.

ومع عولمة التبادلات التجارية صار من الضروري توسيع تطبيق قوانين حماية الملكية الفكرية إلى جميع البلدان التي تعقد الدول الصناعية الغربية معها اتفاقيات تبادل تجاري، فأضيفت حقوق الملكية الفكرية في نظام التجارة العالمية عام ١٩٩٤. والملفت أن الولايات المتحدة التي تحاول اليوم جهدها لتطبيق صارم لأحكام الملكية الفكرية على منتوجاتها الثقافية والمعلوماتية بشكل خاص لم تبرم الاتفاقية الدولية الا عام ١٩٨٩.

من المعروف أن قطاع النشر الأميركي لم يزدهر في بداياته خلال القرن الثامن عشر والتاسع عشر إلا بفضل نسخ – أي قرصنة بالمعنى الحالي– الأعمال البريطانية دون دفع حقوق لمؤلفيها. وكان عدد من النوّاب يعترض على كل محاولة لعقد اتفاقيات بهذا الصدد بين الولايات المتحدة الاميركية والمملكة البريطانية، متذرّعين بأن هذا الإجراء سوف يرفع من ثمن الكتب ويحد من حجم أعمال الناشرين. فلم تعقد اتفاقية ثنائية بين البلدين إلا عام ١٨٩١، بعدما اشتهر عدد من

لتوحيد القوانين بين البلدان الاوروبية) ويصبح العمل بعد هذه المدة في الحق العام أي أن يستطيع أي كان إعادة طبعه والانتفاع من بيع هذه الطبعة. ويمكن للمؤلف أن يتنازل عن حقوقه المادية، بينما لا يمكن التنازل عن الحقوق المعنوية.

المؤلفين الأميركيين في بريطانيا وانتشر نسخ بعض الروايات المشهورة مثل كوخ العم توم *Uncle Tom's Cabin* فاهتمت الولايات المتحدة حينها بحماية مؤلفيها.(٥)

٢. النساء ومهنة التأليف

هكذا فمفهوم المؤلف كوظيفة يحميها القانون وكشخصية قانونية لها مسؤوليتها في التعبير وحقوقها المادية والمعنوية، هذا المفهوم وليد تطور اجتماعي، وقد طبّق على الرجال من الأدباء والفنانين ولم يطبّق على النساء في أوروبا الا بتأخير دام قرنين. من هنا يمكن القول إن فكرة الملكية الأدبية تخضع لتبدلات اجتماعية وثقافية وللنساء في هذا المجال تاريخ يختلف عن تاريخ الرجال.

تعتبر La Princesse de Clèves أول رواية فرنسية ، وهي صدرت عام ١٦٧٨ وكانت مجهولة المؤلف ولم تنسب الى مؤلفتها Madame de Lafayette الا عام ١٧٨٠ أي بعد ما يزيد عن مئة عام! وكانت النساء يكتبن بأسماء مستعارة أو ينشرن أعمالهن على أنها ترجمات.(٦) بقيت الكتابة مهنة غير مقبولة للنساء في فرنسا حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر مما اضطر جورج ساند George Sand الى التزيّف باسم رجل وثياب الرجال.

يبدو أن دخول النساء الإنكليزيات والأميركيات إلى حقل التأليف كان من أهدافه الكسب المالي، خاصة حين كان من غير المحبّذ أن يخرجن إلى المجال العام. سارة فيلدنج Sarah Fielding (١٧١٠–١٧٦٨) من أولى الروائيات الانكليزيات التي اعتاشت من كتاباتها، لكنها كانت توقّعها باسم أخيها هنري، أو تصدر أعمالها مجهولة المؤلف!

وفي إنكلترا في القرن ١٩ عندما غدا شائعاً أن تنعم نساء الطبقات الوسطى بمساعدة منزلية، بدأت العائلات تتقبّل فكرة التأليف كعمل مربح للنساء، خاصة أنه يقع على الحدود بين الفضاء الخاص (المنزل كمكان للكتابة) والفضاء العام (انتشار الكتاب في الأسواق). وكان من الممكن لعائلة أن تعتاش من مردود الكتابة فصار

(٥) Roberto Verzola. Towards a Political Economy of Information. Quezon city, Philippines, Foundation for Nationalist Studies, 2004. p21-24.

(٦) Paule Constant. Qu'est-ce qu'une femme qui écrit? www.pauleconstant.com/docs/UFQE.pdf

التأليف نشاطاً معترفاً به للأرامل.[٧] في الولايات المتحدة الأميركية، اعتبر التأليف مهنة تصلح للمرأة، بالأخص إذا كتبت ما يعمّم خبرتها كأم ومربية.[٨]

لقد بيّنت الأبحاث حول تاريخ النشر وتاريخ الأدب في أوروبا خلال القرن التاسع عشر، أن النساء الكاتبات كن يعانين من صعوبة التفاوض مع الناشر، لعدّة أسباب يعود أولها إلى أن قانون الأحوال الشخصية الفرنسي كان يمنع المرأة المتزوجة من عقد الاتفاقات التجارية، مما اضطر جورج ساند مثلا لاستخدام إسم زوجها للتفاوض مع الناشر[٩]. والحال نفسه في الولايات المتحدة حتى أواخر القرن التاسع عشر حيث كان القانون يمنع النساء المتزوجات من امتلاك أي نوع من أنواع الملكية، فكانت المؤلفات تضطر لتوكيل أقربائها الذكور بحقوق تأليف أعمالهن.[١٠]

ومن الأسباب أيضا أن النوع الأدبي الذي تخصصت به البعض منهن كان يعتبر في مرتبة أدنى من غيره من الأنواع. هذه حالة أدب الأطفال حيث شكّلت النساء الغالبية بين المؤلفين، ولم تلق فيه التعامل الذي يلقيه المؤلف (أو المؤلفة) في الأنواع الأدبية المعترف بها. مما دفع بالكونتس دو سيغور La Comtesse de Ségur لبيع حقوقها كاملة دفعة واحدة لهاشيت الذي استفاد من المبيعات الهائلة التي حققتها مؤلفاتها فيما بعد، ولم يستفد منها وارثوها.

والحال نفسها بالنسبة للروايات المسلسلة التي كانت تنشر في الصحف والتي كانت تعتبر أدنى مرتبة من الأدب، واضطرت المؤلفات اللواتي كن تخصصن بهذا النوع إلى بيع حقوقهن بأسعار متدنية والتخلّي عن حقوقهن في نشر الرواية في كتاب بحجة أنهن قبضن حقوقاً على المسلسل[١١].

ومن بين الكاتبات من اضطررن للنضال بشراسة ضد أزواجهن ودفاعاً عن

---

(٧) D. F. Laurenson. "A Sociological Study of Authorship". In: The British Journal of Sociology, Vol. 20, No. 3 (Sep., 1969), pp. 311-325

(٨) Sarah Robbins. "Distributed Authorship: A Feminist Case-Study Framework for Studying Intellectual Property". *College English*, Vol. 66, No. 2 (Nov., 2003), pp. 155-171

(٩) Jean-Yves Mollier. "Les femmes auteurs et leurs éditeurs au xixe siècle : un long combat pour la reconnaissance de leurs droits d'écrivains". *Revue historique* N° 638 2006/2

(١٠) Melissa J. Homestead. American Women Authors and Literary Property, 1822-1869, published by Cambridge University Press, 2005

(١١) Jean-Yves Mollier. Op.cit

حقهن في ملكيتهن الأدبية، ورغم صعوبة تحصيل هذه الحقوق، لا بل غيابها التام أحيانا، استمررن في الكتابة والتأليف. نذكر على سبيل المثال تجربة هاريت ستو مؤلفة «كوخ العم توم» التي كتبت مطالبة بالعدالة الاجتماعية وبإلغاء التمييز العنصري، وهي التي لم تستطع أن تنشر دون تغطية إسم زوجها! ولم تسع وراء الكسب المادي، رغم أن مؤلفاتها كانت من أكثر الكتب مبيعاً.(١٢)

٣. الروائيات العربيات

شهد أواخر القرن التاسع عشر بداية الرواية العربية الحديثة، بعد أن كان الشعر النوع الأدبي الطاغي، نتيجة للاحتكاك بالغرب وتعبيراً عن تطلّعات جيل المثقفين الى الحداثة. ورافقت الرواية انتشار الصحافة التي احتضنتها أحياناً كحال روايات جرجي زيدان. كما اعتمدت الرواية أحياناً على تعريب روايات أجنبية كروايات المنفلوطي.

ويبدو أن النساء سبقن الرجال في هذا النوع الأدبي، مع رواية «يعقوب وابنته مريم» لفريدة وهبة عام ١٨٧٣، ثم «صائبة» لاليس بطرس البستاني عام ١٨٩١، و «حسن العواقب» لزينب فواز عام ١٨٩٩، و«قلب الرجل» للبيبة هاشم عام ١٩٠٤ و«بديعة وفؤاد» لعفيفة كرم عام ١٩٠٦، فهذه سبقت رواية جبران «الاجنحة المتكسرة» عام ١٩١٢ و«زينب» لمحمد حسين هيكل عام ١٩١٤.(١٣) ويذكر أن الأخير، وكان صحفياً مشهوراً، لم يرغب أن يوقّع روايته باسمه، نظراً للمكانة الدونية لهذا النوع الأدبي، فصدرت تحت إسم «فلاح مصري».(١٤) ولم تكن كتابة الروايات سبب شهرة المؤلفين أو المؤلفات، ولا مجال نشاطهم الأساسي. فعرفت زينب فواز بمقالاتها الصحفية الداعية لتعليم المرأة وبكتابها عن النساء العربيات(١٥) قبل رواياتها. وعرفت لبيبة هاشم بتحريرها مجلة «فتاة الشرق» في مصر. كما لم تكن الرواية مصدر رزق للمؤلفات على غرار ما كانت عليه في أوروبا، فبعض الأديبات اللبنانيات ترعرعن في عائلات ميسورة كانت ترسل بناتها إلى المدارس

(١٢) Melissa J. Homestead. Op.cit

(١٣) نازك سابا يارد و نهى بيومي. الكاتبات اللبنانيات . بيبلوغرافيا ١٨٥٠–١٩٥٠. بيروت : دار الساقي، ٢٠٠٠.

(١٤) Hassan, Kadhim Jihad. Le roman arabe. Arles : Actes Sud, 2006.

(١٥) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، القاهرة : مطبعة بولاق، ١٨٩٤

الخاصة[١٦]. ومنهن من صرفت من مالها الخاص لنشر أعمالها. فعفيفة كرم مثلا بدأت حياتها الأدبية في المهجر وكانت متزوجة من رجل أعمال واسع الحال. وكتبت إلى رفائيل بَطّي رسالة تقول فيها : «خسرت *[بسبب ولعي بالقلم]* ثروة *طائلة* بجذل وسرور *لأن الكتابة أصبحت قسماً من حياتي أحيا وأموت بها ولها. وإذا كان لابد من ذكر الحقيقة للتاريخ فأقول إن فضل زوجي كان جزيلاً فهو الذي جرّأني وساعدني وبذل المال في سبيل مشروعاتي الأدبية*».[١٧]

وتتأكد ريادة النساء للرواية العربية إذا نظرنا إلى تطور الرواية العربية، «فمنذ خمسينات القرن الماضي... بدأت النواة تتسع، والرواية النسوية تتشكل ملامحها... ليأتي بعدهن في الستينات روائيات أكثر جذرية. والدائرة تتسع لعشرات الأسماء من الروائيات العربيات اللواتي يصعب اليوم إحصاؤهن، وقد أضيفت إليهن أسماء جديدة من الجزيرة العربية، والمغرب العربي، والسودان. فمن المغرب إلى السعودية، ثمة عشرات الأسماء المؤنثة، التي أحدثت ما يشبه الزلزال في مسار السرد العربي».[١٨]

هذا ولقد أتت نسبة الروايات التي ألفتها نساء والمنشورة بين ٢٠٠٠–٢٠٠٨ ٣٨٪ على موقع ادب وفن . والجدير بالذكر أن روايات النساء باتت تنافس روايات الرجال من حيث الرواج في الأسواق العربية، فلقد حققت رواية «*بنات الرياض*» لرجاء الصانع، أفضل المبيعات عند دار الساقي (٦٠ الف نسخة). وحققت ثلاثية أحلام مستغانمي أرقاما قياسية في المبيعات : «*اخترت من قبل مجلة Forbes* الشهيرة كالكاتبة العربية الأكثر مقروئية لتجاوز عدد قرائي مليونين و٣٠٠ الف قارئ».[١٩] صدر لها حوالي ٤٠٠٠٠٠ نسخة عند دار الأداب.

٤. حقوق المؤلف في البلدان العربية

والحقيقة أن حقوق المؤلف لا تحترم في البلدان العربية، فيشتكي الناشرون

(١٦) لم تكن زينب فواز من هؤلاء فهي تعلمت في بيت الاسعد حيث كانت تعمل قبل هجرتها الى مصر

١٧ رفائيل بطي. عفيفة كرم : ترجمتها وآثارها. -http://www.alkatiba.com/articles/article1561.htm تمت الزيارة في ٢٠٠٨/١٢/١٨

(١٨) ناظم مهنا. كيف غيرت حفيدات شهرزاد وجه الرواية العربية؟ في : الشرق الأوسط، ١٩ يوليو ٢٠٠٦. http://www.asharqalawsat.com الزيارة في ١٩ كانون الاول ٢٠٠٨.

(١٩) أحلام مستغانمي. المقابلة بتاريخ ٢٦ تشرين الثاني ٢٠٠٨.

جميعا من تزوير الأعمال التي تثبت رواجها في الأسابيع الأولى لصدورها.

تقول أحلام مستغانمي: «*تصوري! أنا من بين أقوى ١٠٠ شخصية، وأنا الأضعف أمام اللصوص!*» تشعر أحلام انها تعمل لصالح المزوّرين، أنهم بانتظار كتابها الجديد ليزوّروه. فيقول أحدهم الى صاحبة دار النشر : «*يلاّ متى سيصدر الكتاب الجديد، بدنا نشتغل...* ». الكاتبة والناشرة، إمرأتان تجابهان وقاحة اللصوص: "*أنا ورنا ادريس تعبنا جدا. مزوّر معروف جدا في لبنان، يدخل السجن ويخرج ويزوّر «المنهل» بآلاف النسخ ويبيعه ويزوّر «ذاكرة الجسد» عينك عينه. اللص صار وقحاً، يأتي إلى معرض الكتاب، يأخذ نسخة ويقول «غيّرتموه، طلعت طبعة جديدة، نروح نشتري نسخة لنبدل نحن أيضاً...*» هذا وقد حاولت أن تنشر كتبها على نفقتها، لتحارب المزوّرين عن طريق خفض الأسعار.

كثيرون في الأسواق العربية يتجاهلون الملكية الفكرية رغم توقيع الدول العربية الاتفاقات الدولية المتعلقة وإصدار التشريعات الوطنية المناسبة. وإن كانت فكرة الملكية الفكرية دخلت حديثاً إلى بعض الدول العربية (الخليج خاصة) تحت ضغط عولمة التبادلات التجارية، فهناك دول عربية أخرى أبرمت منذ عقود متعددة إتفاقية برن، وهي الدول التي كانت تحت الانتداب او الاستعمار (تونس ١٨٨٧ ثم المغرب ١٩١٧، ثم لبنان ١٩٤٧ ومصر ١٩٧٧) واستوحت هذه الدول قوانينها من نصوص الدولة المنتدبة.

ولم تأت التشريعات الوطنية لتستجيب لحاجة مجتمعية ملحّة، ولم تبرم الاتفاقات العالمية إلا تحت ضغط متطلبات التجارة العالمية[٢٠]. فكان الأديب العربي تاريخياً يسترزق في كثير من الأحيان من كرم الحاكم، وربما بقي على هذه الحالة لتاريخ ليس ببعيد، مما يظهر لنا من خلال استمرار عادة المدح وإلقاء القصائد في المناسبات السياسية والاجتماعية. وفي أواخر القرن التاسع عشر، ارتبط المثقف إما بجهاز الدولة (في التعليم أو في الإدارات العامة) أو بالصحافة، أي بعلاقة اقتصادية بالسلطة السياسية. وحتى أيامنا هذه، غالباً ما يعمل المؤلف في مجالات الصحافة أو التعليم، وإن كان غير مرتبط بالسلطة السياسية، فهو غير مستقل مادياً. أما الجوائز الأدبية التي من المفترض أن تحفّز المؤلفين على المزيد من التأليف، فهي أعطية

(٢٠) كان لربط التبادل التجاري العالمي بحقوق الملكية الفكرية (اتفاقية الجات و TRIPS) التأثير الأهم الذي جعل باقي الدول العربية تبرم اتفاقية برن وتعدل في قوانينها الوطنية لحقوق المؤلف.

تأتي من مال الأمير في دول الخليج وعادة ما لا تتناسب قيمتها المادية مع الأرباح التي يمكن أن يجلبها بيع الكتاب في الأسواق.

لا زالت اليوم القضايا التي تثار حول حقوق المؤلفين المحليين قليلة. على صعيد المحاكم اللبنانية، لم تثر القضايا المتعلقة بحقوق المؤلف قبل عام ١٩٩٧، ومنذ هذا التاريخ حتى ٢٠٠٥ لم تتعد اجتهادات القضاء اللبناني المتعلقة بالحقوق على المطبوعات التسعة، في مقابل ١٨ اجتهادا للأفلام والموسيقى والبرامج التلفزيونية.[٢١] تركَّز الجهود على حماية الماركات العالمية والبرامج المعلوماتية للشركات الأجنبية، ونادرة هي الحالات التي يتم فيها ملاحقة مزوّري الكتب.

فتؤكد أحلام مستغانمي: «*يدافع عن حقوق الشركات الاميركية، عن شركة ميكروسوفت، فهي ترغم الدول ان تحمي حقوقها؛ سوف يحجزون الاشرطة (المواد المعلوماتية) ولن يحجزوا كتبك! انت ما عندك حقوق! أميركا على بعد ٣ قارات لها حقوق ولكنك انت في نفس الوطن لا تملكين حق، وستدافعين عن حقك وحق ناشر كتبك*». وتستشهد بيوسف شاهين : « *يقضي المبدع العربي ٢٠٪ من وقته في الابداع و٨٠٪ من هذا الوقت دفاعا عن ابداعه*».

وإن كان من دفاع فعلي عن حقوق الملكية الفكرية فعلى الأنواع الاكثر رواجاً كالأغاني مثلا، أما الكتاب فأرباحه ضئيلة وسوقه ضعيف، على الرغم من اتساع رقعته، بسبب استمرار الأمية وغياب عادة المطالعة.

٥. سوق الكتاب

لا يمكن مقارنة واقع صناعة الكتاب وسوقه العربية مع صناعة الكتاب وسوقه في الغرب. فيشهد قطاع صناعة الكتاب في أوروبا وفي الولايات المتحدة تمركزاً هائلاً للمؤسسات الناشرة، وهو تمركز أفقي (شراء دار نشر كبير لعدد من الدور الصغيرة) وعمودي (تمركز جميع حلقات انتاج وتوزيع الكتاب في يد شركة واحدة) حتى صارت ست مجموعات اقتصادية تسيطر على سوق الكتاب في العالم[٢٢]. والحصة الأكبر في سوق الكتاب الفرنسية تعود لشركة هاشيت (Hachette) التي

(٢١) انظر نصوص الاجتهادات وتواريخها في : راني صادر.– المرجع في اجتهادات الملكية الفكرية، ٢٠٠٦.

(٢٢) Jean Yves Mollier. Où va le livre? Edition 2007-2008. Paris : La Dispute, 2007, p 65

توسّع سيطرتها أيضا على الأسواق العالمية الأخرى. ويعود صمود دور النشر المتوسطة المستقلة الى سياسة ثقافية واضحة تضع بعض الحدود للاحتكار وأيضاً بفضل تقاسم الأدوار بين المؤسسات المختلفة. فالدور الصغيرة المستقلة تجازف بنشر المؤلفين الجدد، بينما تتوجه المؤسسات الكبيرة نحو التركيز على عناوين مؤكدة النجاح، على حساب الأعمال الصعبة أو الرائدة أدبياً. والسوق الغربية كلها تنتظم لتحتفل بالكتب الناجحة وتزيد من مبيعاتها، بمختلف الأساليب، كالجوائز الأدبية التي باتت تكافئ الكتب الناجحة تجارياً ومن خلال البرامج التلفزيونية والدعايات. لذلك يشهد عالم الكتاب ظاهرة الكتب الأكثر مبيعاً والتي تكمّل مسيرتها من خلال الصناعات الثقافية والترفيهية الأخرى، كالافلام والملابس والألعاب المستوحاة من شخصيات الرواية. لا شك إذن أن الرهانات كبيرة والحوافز قوية للدفاع عن حقوق المؤلف! ومن الملفت للنظر التنسيق بين الفاعلين في سوق الكتاب ودعم الدولة لهذا القطاع الاقتصادي باعتمادها سياسات تشجيعية وحماية التنوّع في الإنتاج وحماية المؤلفين بشكل خاص.

فيما يخص الكتاب العربي، فرغم وحدة اللغة من المحيط الى الخليج، تبقى حظوظه في المبيع محدودة، لذلك لا يجازف الناشر بعدد النسخ للطبعة الواحدة ولا بعناوين غير مضمونة النجاح. يركز كل جهوده التسويقية على الأسابيع الأولى لصدور الكتاب لأنه على يقين أن الكتاب الذي يحظى بإقبال الجمهور عليه سوف يزوّر سريعاً. وما زالت دور النشر في غالبيتها مؤسسات صغيرة، عائلية في كثير من الحالات،[٢٣] هذا مع العلم ان بعض الشركات القليلة تتخذ منحىً جديداً من ناحية التمركز والتوسّع وتنويع النشاطات[٢٤]. بصفة عامة، القطاع مشرذم ولم ينجح الناشرون حتى الآن بتحويل اتحاداتهم النقابية إلى مؤسسات تنظم المهنة وتنسق الجهود من أجل تحسين شروط ممارسة المهنة ومكافحة التزوير.

تشكو صناعة الكتاب في العالم العربي من غياب المؤسسات الكبيرة المتخصصة بالتوزيع، وغياب فهارس مشتركة للإصدارات الجديدة، وضعف شبكات التوزيع من خلال مكتبات البيع. هذه كانت لتخفّف على الناشر متاعب توزيع الكتاب

(٢٣) Franck Mermier. Le livre et la ville. Arles : Actes Sud, 2005. p169

(٢٤) Idem. p 172

في أرجاء العالم العربي. فما زال الناشر العربي يقوم بتوزيع منشوراته بنفسه، يدور من بلد إلى بلد ومن معرض إلى آخر، ليعرض انتاجه على قرّاء العواصم العربية بصيغة موسمية فقط ودون أن يطال الأرياف والقرى. هذا إذا سمحت سلطات الرقابة للكتاب أن يدخل هذا البلد العربي أو ذاك؛ والرقابة متعددة ومتنوعة المقاييس، فلكل بلد معاييره وقائمة ممنوعات خاصة به. «*المعوقات الفعلية هي الحدود والرقابة وصعوبة التحويلات المالية*» حسب ما يؤكد الياس خوري. يصدر عن كتاب واحد لألياس خوري ٥ طبعات خلال عشر سنوات، وهي لا تتعدى ١٥٠٠٠ نسخة، بينما يوزّع في فرنسا وحدها ٢٥٠٠٠ نسخة. وتكمن المشكلة الأهم في ضعف الطلب على الكتاب وغياب سياسات لتشجيع المطالعة.

ويشعر المؤلف أنه غير محمي في العالم العربي، فلا دولة تدافع عن حقوقه وتلاحق المزوّرين ولا دولة تدعم الكتاب: «*مشكلتي في غياب أي سياسة لدعم الكتاب... الكتاب يقف وحده، على الكتاب ان يجد طريقه، وقرّاءه. وهو يجدهم، ولكن المرارة انك تشعر انك وحيد، المجتمع ليس معك، انت على هامش الهامش*» (الياس خوري).

أمام هذا الواقع كيف يمكن أن تكون علاقة المؤلف بالناشر وهل يدافع عن حقوقه ويطالب بها؟ ولقد لفتتنا ظاهرة قيام مؤلفين واسعي الانتشار بانشاء دور نشر خاصة بهم أمثال نزار قباني وغادة السمان وأحلام مستغانمي. أما هذه الأخيرة فلقد عادت بعد فترة لتنشر عند دار الأداب بعد أن اختبرت صعوبة التوزيع.

٦. العلاقة مع الناشر

يتأرجح موقف المؤلفين من الناشرين بين عدم الثقة والشعور بالاستغلال أحيانا، خاصة عندما يشتهر المؤلف وتشهد كتبه رواجاً في الاسواق العربية، وبين اتكالية وثقة وعدم رغبة بالتدقيق في الحسابات أحياناً أخرى.

إذا كان الناشرون يعانون من انتشار التزوير وصعوبة التوزيع وضعف الطلب على الكتاب، فالمؤلف هو الضحية الأولى، إذ سيحاول بعض الناشرين تقليص ما يدفعون للمؤلف من حقوق. يشتكي المؤلف العربي عادة من تدنّي الحقوق التي تدفع له (حوالي ١٠٪). هذا مع العلم أنه من الصعب عليه الحصول على معطيات دقيقة حول حجم مبيعات كتبه، إذ يتذرّع الناشر أحياناً بمشكلة التزوير لتبرير قلة الأرباح

رغم رواج الكتاب في الأسواق، كما أنه يعيد طبع الكتاب دون إعلام كاتبه. فالعلاقة غير شفّافة أحياناً وغير موثّقة نظراً لطغيان النمط الحرفي على أساليب العمل وضعف التنظيم. يشتكي حسن داوود من إخفاء المعلومات حول المبيعات. فهو نشر في عدة دور ويطالب دائماً بمعطيات دقيقة حول مبيعات كتبه وأماكن توزيعها ولم يتلق جواباً. يقول: «*أريد أن أعرف أين يقرأ كتابي*». ويقول أنه «*لم يقبض من الطبعات العربية إلا الدفعة الاولى فقط*». المشكلة ليست مادية بقدر ما هي شعور بالضعف والوحدة أمام نظام السوق، خاصة بغياب الشفافية.

تتسم العلاقة مع الناشر اللبناني بأنها شخصية، لا وسيط كمدير مبيعات أو مدير تحرير بينهما، ويمكن لهذه العلاقة أن تكون أحيانا حميمة وصادقة، خاصة عندما يساهم الواحد (الناشر والمؤلف) بسمعة الآخر ومكانته في المجال الأدبي. فالناشر يقوى بالأسماء اللامعة التي ينشرها، والمؤلف يقوى من سمعة دار النشر في الوسط الأدبي ومن الاسماء البارزة في قائمة منشوراتها. و تؤكد علوية الصبح: «*دار النشر مثل عائلتي*». كما يعتبر الياس خوري أن علاقته مع دار النشر جيدة وخالية عن التعقيد، ولا يشتكي رشيد الضعيف من أية مشكلة مع صاحب الدار. أما أحلام مستغانمي فهي تعتبر نفسها في خانة واحدة مع صاحبة دار النشر في مواجهة المزوّرين.

وقد لا تشجع العلاقات الشخصية المؤلفين على التدقيق في الحسابات. والحقيقة أن المؤلفين لا ينتظرون الكثير من الأرباح إذ يفضلون أن يحافظ المثقف على صورته المترفّعة عن الأرباح، طالما أنها في جميع الحالات لن تساوي الوقت والجهد المبذولين. «*كتاب يتطلب ثلاث سنوات من العمل، تجني منه ٣٠٠٠$* » (الياس خوري). كما أن الجميع يتوقّع من المؤلفين والفنانين أن يترفّعوا عن الاهتمام بالكسب المادي وبنتائج لمبيعات.

تشعر أحلام مستغانمي أنها محرجة وعليها أن لا تسأل عن حقوقها. «قدر *المبدع العربي أن يصنع ثراء غيره لأن كل شيء مبرمج لنهبه، ولجعله يستحي من مطالبة حقه*». «*عيب! ليش انت تلاحقيننا بحقوقك؟ خلص! عيب... أنت بحكم أنك كاتبة عليك أن تترفّعي عن المطالبة بأي شيء مادي*». وتضيف: «*إذا لم تكن علاقة الكاتب بالمال علاقة كرامة، تكون علاقة إهانة*». أما حسن داوود فيقول: «*أنا لا أطالب لأنني سأبدو كمن اخترق محرّم*».

«التجرّد هو ما يميّز موقف الفنان بعلاقته بمحيط الممارسة أو بالاعمال»[٢٥]. هذه الصورة وليدة تطور للعلاقات بين الفنانين والطبقة البرجوازية منذ القرن الثامن عشر والتاسع عشر في المجتمعات الصناعية[٢٦]، وربما استمرت في العقليات حتى أيامنا كرواسب من الفترة السابقة. ويخص هذا الموقف المجال الأدبي الضيّق الذي يسعى للاستقلال عن الانتاج الجماهيري، هذا بحسب بورديو.[٢٧] أما في محيطنا الحالي، اللبناني والعربي عامة، فيرتبط بالمكانة الدونية للأدب في دورة الانتاج ، فلا يعترف المجتمع بالتأليف الأدبي كمهنة مستقلة.

واستكمالا لموقف الترفّع هذا، من غير المنتظر أن يعرف المؤلف كيف يدير أعماله وكيف يتفاوض مع الناشر ليحصل على حقوقه. يقول الياس خوري إنه لم يجد دخلاً فعلياً عن ترجمات كتبه إلا بعد أن سلّم إدارة حقوقه لوكيل يتفاوض على حقوق الترجمات ويلاحق الناشرين. ويعترف حسن داوود : «*هناك كتّاب يتابعون مبيعاتهم أفضل منّي، أنا مش شاطر*».

تمثّل أحلام مستغانمي الصورة النموذجية الصارخة لأديبة وامرأة في وسط عالم جشع (ذكوري): تقول إنها لا تعرف كيف تدبّر أعمالها، تمضي العقود دون ان تقرأها، وهي لا تفاوض على حقوقها :«*أنا لا أفاوض، أنا أوقّع*» وهي تقع دائماً في الأخطاء ولا تلجأ إلى محام إلا بعد وقوعها فيها. وتذكر عدداً من الحالات حيث تخلّت عن حقوقها بسبب ثقتها المفرطة بأن العلاقة مع الفنّانين لا بد أن تكون صادقة.

ولكن الموقف الإيديولوجي هذا للفنان الصادق والمتجرّد لم يعد يناسب عصراً باتت الثقافة فيه صناعة مربحة. شكّل الاعتراف بحقوق الملكية الفكرية في الغرب نقطة انعطاف بالنسبة للأدباء إذ رسّخ حريتهم واستقلاليتهم عن السلطات السياسية والدينية. وبتنا نشاهد المنظمات الدولية تشن الحملات الإعلامية للتشديد على احترام الملكية الفكرية، ونرى الشركات الكبرى تلاحق منتهكي حقوقها في أرجاء

(٢٥) « Le désintéressement serait le trait qui caractérise le plus généralement et le plus profondément la posture de l'artiste dans sa relation avec l'environnement de la pratique ou des affaires ». Chateau, Dominique. Qu'est-ce qu'un artiste. Rennes : Presses Universitaires de Rennes, 2008, p27.

(٢٦) J P Sartre. Qu'est-ce que la littérature ? . Paris : Gallimard, 1948.

(٢٧) Pierre Bourdieu. Le point de vue de l'auteur. In : Les règles de l'art. Paris : Seuil, 1992.

العالم. بالمقابل، يخجل المؤلفون اللبنانيون من المطالبة بحقوقهم، ولا يكافحون في سبيل المزيد منها لأنها لن تؤمن لهم الاستقلال المادي.

وحدها أحلام مستغانمي تثور على التعدّي على حقوقها فكتبها لاقت رواجاً جماهيرياً. فشكلت بذلك حالة استثنائية حيث خرجت أعمالها من الدائرة الضيقة للأدب المثقف لتشتهر وتطال الجمهور الواسع، فباتت خسائرها الناتجة عن استغلال أعمالها وانتهاك حقوقها كبيرة. وتذكر مستغانمي أمثلة عن مختلف أنواع الاستغلال والاستخفاف بالحقوق: إحدى المؤسسات أخذت منها حقوق الترجمات بمقابل جائزة أدبية منحتها إيّاها، وتصدر الطبعة تلو الطبعة مقابل مبلغ زهيد جداً للمؤلفة، كما أن محطة تلفزيون أخذت حقوقها لفيلم ولمسلسل ولم تنفذ الاتفاق فذهبت الجهود هدراً.

أما بالنسبة للمؤلفين الآخرين، فلا تشكل كتابة الروايات مجال عمل أساسي يمكن أن يتفرّغوا له ويبقى مدخولها هامشياً بالنسبة لمعاشهم المنتظم. وهم على يقين أنه من النادر جدا أن يعتاش المؤلف من كتاباته. وهذا إذا دلّ على شيء فيدل على مكانة الكتاب في مجتمعنا. وليست هذه حالة الكتاب وحده في العالم العربي. فالممارسات الثقافية كلها، من قراءة ومشاهدة أفلام السينما والمسرح (الانواع التي تحتاج الى اكتساب بعض المرجعيات والمقاييس الجمالية والتي تتطلب ارتياد الفضاءات المخصصة كالمكتبات ودور السينما والمسارح) لا تزال محصورة في دائرة الى حد ما نخبوية ولم تنجح في أن تتحول الى ثقافة جماهيرية. وبالفعل، بقي نجيب محفوظ يعمل الى جانب التأليف رغم أن معظم رواياته تحولت أفلاماً. أما رشيد الضعيف، وهو من أكثر الروائيين اللبنانيين رواجاً بحسب ناشره رياض الريس وتحوّل عدد من رواياته إلى أعمال سينمائية، فيتعجب ممن يفكر أن يكسب عيشه من الكتابة الأدبية.

لهذه الأسباب، لا يعتبر قطاع الكتاب قطاعاً اقتصادياً هاماً يحتاج إلى تنظيم وتحترم قوانينه، كما لا يكترث الفاعلون في مجال الكتاب لحقوق المؤلف رغم مركزيتها في الانتاج: المؤلفون أنفسهم يفضلون ألا يطالبوا بحقوقهم المادية حفاظاً على صورتهم، والناشرون يتناسون أحيانا إمداد المؤلفين بالبيانات التفصيلية حول إعادات الطبع ونتائج المبيعات، أما المزوّرون فيستسهلون النسخ ولا يكترثون لأصحاب الحقوق في ظل غياب عام لتقدير جهود المؤلف وعدم اعتبار التأليف مهنة يمكن التفرّغ لها.

٧. الروائيات والمال

يبدو أننا في البلدان العربية في طور ما زال المجتمع فيه ينظر إلى الكتابة كهواية أكثر من احتراف. وهي تحتاج إلى وقت ونضج لينظر إليها كمهنة. وما ينطبق على المجتمع ينطبق على المؤلفين أنفسهم من حيث تطور الموقف: كان هم البوح والإبداع الدافع الوحيد لإيمان يونس حين كتبت روايتها الأولى، أما فيما بعد: «*الاحتراف يجعلك تنظرين الى ابداعك كمصدر انتاج، حينها لا تكتفين بالكتابة فقط، تبدأين بالنضوج.* »

يدرك المؤلفون استحالة العيش من مردود رواياتهم فقط. ورغم هذا تعبّر النساء الكاتبات عن حلم يرواد أذهانهن ولو بقي خيالا. فتقول إيمان يونس :«*حلمي ان أكرّس وقتي للكتابة، حلمي أن آكل من رواياتي*». ولكنها واقعية وهي تعلم أن «*هذا غير ممكن، لا أريد أن أتّهم عالمنا العربي فحتى في فرنسا لا وجود لذلك، لم أسمع بأناس يعيشون من كتاباتهم إلا إذا نالوا جوائز كبرى*». لماذا تحلم إذن بما لا يمكن تحقيقه؟ يشكل التفرّغ للكتابة رمزاً لاستقلال المرأة ولحريتها بعد أن كانت لأجيال في وضع التبعية المادية والمعنوية. تقول علوية الصبح :« *أتمنى أن يصبح مدخولي الوحيد من كتبي لأتفرّغ للكتابة. هل من شيء أجمل من أن أعيش من كتبي، أصير ملكة... حرية! متعة غير طبيعية أن تعيشي من كتبك. أتمنى أن لا أضطر لمصدر ثانٍ، أن أصير حرة*» . وتقول أحلام مستغانمي : «*أن يكون لك إمكانيات مادية يعني أن تكوني امرأة حرة، كاتبة حرة .*»

رهان المرأة مزدوج إذن، أن تكسب معيشتها وحريتها بالتعبير في آن. ألم تصف سيمون دي بوفوار Simone de Beauvoir الأديبة الفرنسية كوليت Colette بأنها امرأة مكافحة عرفت كيف تؤمن قوتها اليومي من قلمها؟[٢٨] وتتابع كريستافا:

«واجهت كوليت بشجاعة ضرورة ان تكسب معيشتها، وكانت طامعة بالربح بقدر ما كانت تفرط بالصرف، واستطاعت ان تكتسب استقلالها الاقتصادي مدركة بالفطرة ان هذا الاستقلال هو الشرط المسبق للانواع الاخرى من الحرية»[٢٩].

---

(٢٨) Julia Kristeva. Le Génie féminin, vol 3 Colette. Paris : Gallimard, 2004 (Folio), p98

(٢٩) "Affrontant avec courage la nécessité de gagner sa vie, âpre au gain autant que dépensière, Colette parvient à conquérir son indépendance économique, sachant d'instinct que celle-ci pré-conditionne toute autre forme de liberté. » Kristeva op.cit. p 24.

ومثل كوليت، تسعد الروائيات بهذا المال الذي سوف يصرف بسرعة. تقول علوية: «*طبعا أتمنى أن ينتج كتابي مليون أصرفها بأسبوع، أحب أن أجني ثروات لأصرفها، لا أكذب على نفسي*». وتقول أيضاً: «*يهمني البيع، الجانب المادي. هذا تعبي. هذه مهنة، لمَ لا أعتاش منها*».

ويفرح الجميع بالمبالغ ولو زهيدة، إذ تأتي بأوقات غير منتظمة. ولكن الروائيات أكثر تعبيراً عن سعادتهن بسبب قيمتها الرمزية وهي لا تقاس بقيمتها الحقيقية. وتشرح علوية الصبح: «*الغريب أنه بالرغم أن علاقتي بالمال سيئة، ما عندي علاقة عاطفية بالمال... رغم ذلك، الغريب أنك، وقت تتقاضين دولاراً عن كتاب، تشعرين بسعادة. أسأل نفسي لماذا؟ ٢٠٠$ اكثر سعادة من ألاف الدولارات كمعاش. عملك تتعبين به أيضاً وكله يصرف. ولكن تشعرين بالسعادة، هذا كتابك، مكان تحقيق نفسك، فيه متعة لا أستطيع أن أفسرها. أتذكّر أول مرة قبضت عن كتاب كان شعوراً مشابهاً لاول معاش، عندما قبضته بكلية التربية كتلميذة، رغم أنه أحياناً رمزي. كأن ابنك حصّل لك شيئا.*»

أما إيمان يونس فتفسر: «*الأموال التي أقبضها من فرنسا ومن ألمانيا ومن الولايات المتحدة مبالغ رمزية لكن علاقتي بها مختلفة عن العلاقة مع الشيك الذي يتم تحويله إلى حسابي في المصرف كل آخر شهر. فللأول معنى مختلف، لأنه نتيجة عمل قمت به من الألف إلى الياء، في حين الثاني هو نتاج علاقة مهنية منفصلة عن ذاتك...*» وتزيد: «*أشعر بنفسي حرّة، هناك الكثير من المشاعر المتناقضة، هذه الشيكات تجعلني أحس انني أبني شيئاً غير مادي، معنوي، يوماً ما سأتوصل لبنائه رواية وراء أخرى... علاقتي بأموال الكتابة لها نكهة مختلفة، بالرغم من أنها تصب في حساب واحد، أحس بنفسي أقوى، حين تصلني أموال الكتابة أحس بنفسي أقوى، أنني خلاقة*».

تفرح المؤلفة بالمال العائد مباشرة من بيع كتبها، لأنه يرمز الى انتشارها بين الجمهور القارئ. أما مال السلطة السياسية أو الإعلامية ، فهو مكروه لأنه لم يأت نتيجة علاقة متساوية وشفافة بين المؤلف والمنتج في إطار تبادل مهني سليم. وترفضه أحلام مستغانمي: «*علاقتي بالمال هذا هي علاقة كرامة بالدرجة الاولى. لان المال احياناً عليك ان تهينيه حتى لا يهينك... المبلغ الذي عرضته عليّ* [محطة التلفزيون، تعويضا عن مسلسل لم ينجز حسب العقد بينهما] *كان كبيراً بالنسبة*

لدخلي، ولكنه كان صغيراً بالنسبة لكرامتي. كان صغيراً بالنسبة لأربع سنوات وانا أكتب وأصحح ١٥٠٠ صفحة، مرتين، للسيناريو الذي كنا نحضره لذاكرة الجسد. تشعرين ان المبلغ يعادل بالضبط ٣ إعلانات. فهل هذا ثمن كاتبة في هذا الزمن؟ ولهذا عليك أن تدوسي على المال، لانه إن داسك انتهيت» .

قد يحمل المال معه طلب ولاء أو تبعية : «*رفضت جوائز عربية كبيرة لأنني شعرت بالإهانة، تخّليت عن جوائز، كانت بمناسبة سنة ثقافية وتحمل اسماء شخصيات، ملوك وحكام، لا أشعر أنني أكبر بأسمائهم. لأنني أختار الجائزة الادبية، الجائزة لا تختارني. المكسب المادي غير مهم. أي مكسب مادي على حساب تاريخي هو خسارة. ١٢٠٠٠٠ $ لم أنحنِ لأخذها. وهذا وحدي أدري به. هذه وقود فرحتي، وقود كرامتي، عندما اتذكرها مع نفسي أكبر . من هو هذا السلطان الذي يكرّمني؟ ما هو هذا المبلغ بالنسبة لي؟ ومن هي هذه المؤسسة التلفزيونية التي تعطيني مبلغاً هو نصف ما تدفعه لمغنية في ليلة؟ هل هي تقيّم جهدي؟ بأي حق تقيّم جهدي؟ من أدراها كم دفعت؟ كم أحرقت من أعصابي؟ من مادتي الرمادية؟ علاقة الكاتب مع المال إذا لم تكن علاقة كرامة فهي علاقة إهانة.*»

٨. لماذا يكتبون إذن؟

تعبّر أرباح المبيعات، مهما كان حجمها، عن نجاح الرواية عند قرّائها. على قلّته، يعكس اكتساب المال للمؤلفة استطاعتها إخراج كلامها إلى العلن وإيصاله للناس. القضية قضية تحرّر عن الكلام السائد. وبالفعل تعيش النساء ممارسة الكتابة كأنها اختراق للسائد. تخترق المرأة الحيّز المحدود المتاح للتعبير عن الذات، في إطار ثقافة تقدّس الكتاب والكلمة الرصينة والهادفة.

«*اتذكر أنه حين وددت النشر للمرة الاولى أحسست انني اخلع ملابسي، لأنني آتية من مجتمع محافظ، لا بد من أن تحمل الكتابة رسالة، والا فلماذا نكتب. بالنسبة لوالدي الكتابة كانت تحكي عن الوطن والكرامة.*» (إيمان يونس)

«تكلّم يعني إفعل» والعبارة لسارتر[٣٠]. تلتزم النساء قضية التعبير عن لغة

(٣٠) "Parler c'est agir" . JP Sartre. Qu'est ce que la littérature ? . Paris : Gallimard, 1948. p.29.

المرأة. تقول علوية الصبح: «*هاجسي أن أذهب إلى مجالات فعلاً مسكوت عنها، بأسئلتها وبمعالجتها وإضاءتها، بحفرها. الرجل كتب يحكي عن المرأة، وأتصور أنه حكى استيهاماته حول المرأة وليس حقيقتها. هي موضوع جنسي له. صادر كلامها ولغتها ومشاعرها. وهي تتعاطى مع حالها وجسمها ومعه مثل ما علّمها هو. هو سيّدها. وعبّرت عن حالها بلغته، ورأت جسدها مثل ما يريد هو... عندما تبحثين عن لغتك الخاصة. تذهبين إلى المكان الاصعب، مكان عار يجب البحث عنه، وهو صعب، لأننا تماهينا باللغة التي علّمنا إياها الرجل. أحاول أن أنكش لغتي.*»

تقول أيضا : «*ليش المرأة لا تنطق، لذلك كتبت بالعامية، أريد أن تنطق المرأة. أن تحكي بشكل حقيقي وصادم، بدنا نحكي هيك، حتى لو اننا بشعين وصغار... لازم المرأة تحكي وتبحث عن لغتها، ليس ان تكرر كلاماً موجوداً في أدب الرجال*».

وإن بحثنا عن فرق بين الجنسين، نجده في اندفاع الروائيات المعلن نحو التعبير كفعل تحرّر. «فالكتابة خرق للسائد، وهي بالنسبة للنساء خرق مزدوج ».[٣١]

وكما الكتابة اختراق للسائد وفعل تحرّر، فالقراءة أيضاً اختراق وتحرّر في محيط يخضع للرقابة ويطغى عليه القمع. لذلك تفرح علوية الصبح: «*يسعدني أن تنسخ كتبي في العراق، بسبب الأزمة الاقتصادية وكذلك في عدد من الدول العربية، اليمن، الأردن، حيث كتبي ممنوعة، أو في فلسطين، يتداول الناس نسخاً مسحوبة على آلة استنساخ ليقرأوها. وهذا ما يسعدني*».

لا فرق على هذا الصعيد بين الروائي والروائية. إذ يفرح الياس خوري حين تنسخ كتبه في فلسطين، أو تستوحى المسرحيات من نصوصه. فالأولوية بالنسبة للمؤلف أن ينتشر الكتاب ويلاقي قرّاءه، ولو على حساب حقوقه المادية. ويستمر المؤلفون في الكتابة مع أنهم على يقين أن حقوقهم المادية سوف تنتهك. «*سأكتب وأنا واثقة بأنني سأنهب*» تؤكد أحلام مستغانمي. الأجمل بالنسبة لهم أن يلتمسوا وقع الشخصيات التي ابتكروها على الجمهور، وان يكتشفوا البعد الإنساني العام في كتاباتهم من خلال ردود فعل الجمهور الأجنبي.

وتشكّل ردود الفعل في الوسط المثقف الأجنبي وكذلك إقبال القرّاء عامة،

(٣١) "L'écriture est toujours une transgression et pour une femme l'écriture est une double transgression". Paule Constant. Op.cit

تتويجاً لمكانتهم في المجال الأدبي، يكتسب من خلالها المؤلفون «رأسمالاً رمزياً» لا يقاس بمردود مادي مباشر، وإنما يكون داعماً لاستمرارهم في الكتابة. تقول ايمان يونس: « *حين تتم ترجمة الكتاب ويذهب الى قارىء لا تعرفينه ولم تريه يوماً، وحين يتصل بك عبر البريد الالكتروني ويسألك اين يجده، حينها تكونين تبنين شيئاً غير منظور الا أنه شديد الأهمية، أن يقرأك شخص لم يرَ وجهك يوما ويقوم بردة فعل، هذه هي الثروة ليس بالارقام ولا بحساب المصرف.*»

وتقضي المكانة الأدبية للعمل أن يستقل تماماً عن أي اعتبارات خارجة عنه، وبالأخص الجمهور ومتطلباته. فيميَّز بالتالي بين الأعمال الأدبية التي تكوّن جمهورها والأعمال التي تستجيب لجمهورها.[٣٢] لذلك يؤكد المؤلف أن لا سلطة لديه على مصير كتابه. يقول الياس خوري: «*العمل الأدبي ملك القرّاء، القراءة متنوّعة والقارئ حرّ*». وللكتاب حياته الخاصة وعليه أن يلقي طريقه وحده. «*الكتاب عندما ينشر يستقل عني. إحساسي أن لا علاقة لي فيه، لا علاقة لي بصناعته، بخلقه. كنت مسيطرة عليه، كان تحت سلطتي، خلص، صار بيني وبينه مسافة، هو بدّو يلاقي طريقه، هو بدّو يعيش، بدّو يموت... ما عاد فيي أعمل له شيئ. بعد النقطة الاخيرة ما بقدر أعمل شي. لذلك أخاف كثيراً من النقطة الاخيرة. هي التي تعمل مسافة. ليس المسافة، بل الترحال... تتساءلين هل هو قادر على الدفاع عن نفسه، أن يعيش؟ أو يموت؟ لأن إحساسي أن كل قارئ يعطيه حياة إذا أحبّه. يأخذ حيوات كثيرة من القرّاء إذا أحبوه.*» الكلمات لعلوية الصبح، وكأنها تتكلم عن إبن لها.

٩. الاستقلال عن سوق الكتاب

يجد المؤلف نفسه مشدوداً بين طرفين متناقضين: أن ينال النجاح في الجمهور وأن يكون – كأديب – مستقلاً تماماً عن متطلبات سوق الكتاب. يستخدم الناشرون عبارة «سوق الكتاب»، إذ يدخل السوق في استراتيجيتهم ويكون الهدف النهائي من صناعتهم، ولا يتكلّم المؤلفون إلا عن «الجمهور» ويستبعدون أي رضوخ لضرورات السوق. فعلاقة المؤلف بسوق الكتاب علاقة ملتبسة، إذ: «تحول الأدب الى مكان شرخ عميق حول القيمة المزدوجة للمنتج الأدبي، القيمة الرمزية والقيمة

(٣٢) Pierre Bourdieu. Le point de vue de l'auteur. In : Les règles de l'art. Paris : Seuil, 1992. p302-303

التجارية»[٣٣]. ويتجسد الشرخ في وجود دائرتين مستقلتين: دائرة الإنتاج الضيّق، التي تحاكي المثقفين، ودائرة الانتاج الواسع حيث يسيطر القانون الاقتصادي استجابة لطلبات الجمهور، كما يميّزها بورديو.[٣٤]

ويهدف الأدب (من الدائرة الضيقة) إلى الاستقلال عن الإنتاج الجماهيري. فيسعى المؤلف إلى اعتراف النقّاد وهم زملاؤه في الوسط المثقف (ses pairs)، وإلى تقييم عمله بحسب المعايير الجمالية. «*لا علاقة بين النص الجيد وبيعه*» بحسب إيمان يونس.

ورغم أنه من الطبيعي أن يطمح الروائي الى اكتساب جمهور واسع من القرّاء، يخشى من تأثير قوانين السوق على المحتوى فيتجنّب الرضوخ لاعتباراتها، ويصب اهتمامه على اسلوب التعبير. لذلك يقول حسن داوود: « *الشهرة مرتبطة بماذا* نكتب *وليس كيف*». تواجه كلمتي شهرة ونجاحاً بحذر وشكوك، فقد توحي أن المؤلف استجاب لمتطلبات الجمهور العريض. هذا يظهر من خلال ما يقوله رشيد الضعيف: «*لا أحب كلمة نجاح، يهمني حسن استقبال القارئ، ليس الكم*». ويتابع «*الكتابة مهنة والشهرة مهنة، أنا لا أمتهن الشهرة، لا يمكن أن تكوني شديدة الشهرة دون أن تمتهني صناعة الشهرة*».

وامتهان الشهرة أن يعالج الكاتب المواضيع الرائجة، المطلوبة من الجمهور. الياس خوري: «*إذا فكّرت بالجمهور تتنازل.*» ولما كانت السوق الغربية، أي سوق الترجمات، تأتي بمردود أفضل من مردود المبيعات في السوق العربية، نرى المؤلف يحذر من الجمهور الغربي ويمتنع عن التفكير به: «*يريد منا الأجنبي أشياء محددة وهي مسائل متخيلة عن مجتمعاتنا. يرحّب بالكتاب الذي يدلّ على غرابة مجتمعنا*». (حسن داوود). «*الاهم أن لا تقعي بالصور النمطية التي يريدونها*» (علوية الصبح).

تحوّل الشهرة اسم المؤلف إلى «رأسمال رمزي» وهو لا شك أهم من الرأسمال المالي الذي يمكن للمؤلف، مهما اشتهر، أن يكوّنه! يُستغل الاسم كما

(٣٣) "La littérature devient le lieu d'un clivage profond autour de la double valeur du produit littéraire, marchande et symbolique ». Jacques Dubois. L'institution de la littérature. Bruxelles : Labor, 1983.

(٣٤) Pierre Bourdieu. Le marché des biens symboliques. In : Les règles de l'art. Paris : Seuil, 1992, p202.

تستغل الأعمال نفسها والأذى أكبر لأنه يتعدى عملاً واحداً أو كتاباً واحداً نسخه المزوّرون وباعوه في الأسواق. إنه استغلال سمعة وشخصية المؤلف ويطال حياته ومستقبله.

« *يعمل المرء ليكون له اسم ثم سيعمل اسمه لأجله. أنا الآن أعيش من اسمي، لا أعيش من كتاباتي. يستباح اسمي*». تشعر أحلام مستغانمي أن النجاح لن يجر عليها ألا المزيد من الاستغلال. فهذا الصحفي يأخذ منها مقابلة، ثم يبيعها الى ثلاث مجلات مختلفة. وبعد سرقة حقوقها المادية من خلال قرصنة أعمالها، تتعرّض حقوقها المعنوية، المرتبطة باسمها وسمعتها وصورتها، إلى تعدّ متكرّر. هكذا فالنجاح والشهرة يتحولان الى لعنة: «*يكرّمك وهو يسرقك... يستباح اسمي. تباع مقابلات باسمي وأنا لم أعملها... تشعرين أنك ملك مشاع*». وتزيد في معرض الحديث عن نزار قباني ومحمود درويش : «*الكاتب حتى حياته تنهب... هل رأيت أمة لا تدافع عن حياتك الخاصة؟ بأي حق يأتي واحد ويكتب قصتك، ويستعملها هو ويكتبها حسب مزاجه هو. هل من عملية نصب أكبر من هذه؟ أن تُسرق حياتك بعد أن سُرق منك جهدك ومالك عندما كنت حية. أنا وصلت إلى قناعة أن هناك لعنة نجاح. إنها لعنة أن تنجحي في العالم العربي!*»

خاتمة

يبقى الإنتاج الروائي العربي خارج الدائرة الواسعة للاستهلاك الثقافي حتى حين يستغل الإنتاج الجماهيري أسماء الأدباء. تُطرح للاستهلاك الجماهيري المسلسلات التلفزيونية عن حياة شاعر والمقالات الصحفية عن الروائية المشهورة، دون تأثير يذكر على انتشار الإنتاج الأدبي نفسه لهذا الشاعر أو لهذه الروائية. فلا المسلسل يزيد مبيعات ديوان الشاعر بشكل ملحوظ ولا المقال الصحفي يزيد الطلب على الرواية نفسها! وعلى كل حال لا يستفيد صاحب الشأن (الشاعر والروائية) من أرباح المسلسل ومن عائدات المجلة. كما لا تُدفع لهم الحقوق المادية من جرّاء استخدام اسمهم ولا تحترم حقوقهم المعنوية. وتعني هذه حق المؤلف أن يقرّر متى وأين وكيف تنشر أقواله، وحقه في صدق الكلام الذي ينسب إليه وحقه في الحفاظ على سمعته وصورته عند القراء. وهي كلها تنتهك بشكل يومي. فهل السبب أنها مفاهيم جديدة على ثقافتنا؟ لقد ظهرت فكرة الملكية الفكرية في الغرب وتطورت مع

تغيير اجتماعي أعطى للفرد شخصية قانونية وسياسية مستقلة. فهل ما زلنا في بلادنا بعيدين عن هذا الطور؟ أم أنها حالة خاصة بالإنتاج الأدبي وحده كونه محصوراً في إطار الإنتاج الضيّق، طالما الجمهور القارئ لم يشكل سوقاً مهمة، والناس بعيدة عن القراءة؟

لقد تبيّن لنا من خلال المقابلات أن الروائيين جميعهم مستعدون للتغاضي عن حقوقهم المادية في سبيل إقبال القرّاء على أعمالهم ولو بنسخ مزوّرة. يهتمّون بالجمهور القارئ ولا يسألون عن سوق الكتاب. اسم المؤلف وسمعته وتقدير الجمهور المثقف له يشكلّون رأسماله الرمزي الذي لا يقاس بمردود مادي مباشر، والذي له أولوية في تأسيس حياة أدبية طويلة الأمد. وعلى كل فهذا قانون المنتجات الثقافية حيث القيمة المعنوية لا تقاس بالقيمة التجارية المباشرة. ولا فرق على هذا الصعيد بين رجل وامرأة. تجمعهم المعاناة في الأسواق العربية من تزوير وغياب الشفافية وصعوبة التوزيع والحواجز الجغرافية والسياسية والاجتماعية التي تعيق وصول الكتب إلى من يستطيع أن يقرأها.

ولكن صناعة الكتاب صارت عالمية مثل الصناعات الثقافية الأخرى، بفضل الترجمات التي تتخطى حدود اللغة. فإن كانت الأسواق العربية تعاني من كل هذه العقبات، يمكن للكاتب أن يلقى النجاح في الأسواق العالمية، حيث نتائج المبيعات أفضل من تلك التي تتحقق في الأسواق العربية. ولا شك أن الرواج في الأسواق الغربية يشكل تحدّياً للمؤلف، لما يعنيه من نجاح للكاتب في محاكاة اهتمامات غريبة عنه وثقافات مختلفة. وكي لا يكون الرواج رضوخاً لمتطلبات السوق وللذوق الغربي، عليه أن يبني على القيمة الأدبية العالية القادرة على منافسة الأدب العالمي، وأن يتخطى الرقابة الذاتية التي اعتاد عليها في البلاد العربية، وأن يرتكز على البعد الإنساني الشامل لمضمون الكتابة. وهذا ما استطاع المؤلفون اللبنانيون أن يحققوه، وهو ما ساعدهم على الاستمرار في عمل لا شك فيه الكثير من المعاناة في المحيط العربي.

وإن بحثنا عن فارق بين الجنسين، التمسنا عند النساء تعبيراً لمعاني الكتابة كفعل تحرّر واستقلالية وإثبات الذات لم يعبّر الرجال عنه بهذا القدر من الحماس. وكأن المرأة تكتشف عالماً أبعدها عنه الرجل طويلاً. تتكلّم النساء كأنهن يخترقن السائد ويخرجن شخصياتهن إلى العلن. فكما أُقصين عن السلطة والمال والتملّك،

أُقصين عن التعبير وسُلبن الكلام. تثبت الروائيات وجودهن في حقل الإبداع وقدرتهن على التعبير المستقل، وحقهن في التمتّع بمردوده المادي والمعنوي معاً. وتحاول أحلام أن تدافع عن حقوقها وعن اسمها من المستغلّين والمسيطرين على سوق الكتاب، وتؤكد إيمان على أهمية أن تقول المرأة كيف تعيش في محيطها الذكوري وتبحث علوية عن لغة المرأة الخاصة فتستخدم في الكلام عن كتبها تعابير الأمومة نفسها، وتفرح بالمال الذي يأتي به «*مثل ما تفرح من هدية ابنها*» حين يتلقى أول معاش في حياته المهنية! وأخيراً:

«*أول ما أنتهي أشعر بالوحشة، بفراغ فظيع، لا أعرف لماذا أصير أغني أو أقول شعراً، بعد النقطة الأخيرة... مثل واحد فاضي، حزين وبالوقت نفسه فرحان، وبالوقت نفسه وحيد. مشاعر متناقضة، لا اعرف إذا شيء يشبه اكتئاب ما بعد الولادة.*»[٣٥]

(٣٥) علوية الصبح .

قائمة المصادر

Bourdieu, Pierre. L'invention de la vie d'artiste. In : Actes de la recherche en sciences sociales, 1975, vol. 1, n 1-2, pp 66-76.

Bourdieu, Pierre. Le marché des biens symboliques. In : Les règles de l'art : Genèse et structure du champ littéraire. Paris : Seuil, 1992. p201-244

Bourdieu, Pierre. Le point de vue de l'auteur. In : Les règles de l'art. Paris : Seuil, 1992. p298-389

Chateau, Dominique. Qu'est-ce qu'un artiste. Rennes : Presses universitaires de Rennes, 2008.

Constant, Paule. Qu'est-ce qu'une femme qui écrit ? www.pauleconstant.com/docs/UFQE.pdf

Dubois, Jacques. L'institution de la littérature. Bruxelles : Labor, 1983.

Hassan, Kadhim Jihad. Le roman arabe. Arles : Actes Sud, 2006.

Kristeva, Julia. Le génie féminin, vol. 3 Colette. Paris : Gallimard, 2004. (Folio).

Laurenson, D. F. A Sociological Study of Authorship. In : The British Journal of Sociology, Vol. 20, No. 3 (Sep., 1969).

Franck Mermier. Le livre et la ville.- Arles : Actes Sud, 2005.

Mollier, Jean-Yves. Les femmes auteurs et leurs éditeurs au XIXe siècle : un long combat pour la reconnaissance de leurs droits d'écrivains. Revue historique n 638 2006/2.

Jean Yves Mollier. Où va le livre? Edition 2007-2008. Paris : La Dispute, 2007.

Reflections on a topos of modern auctoriality. In : Revue de synthèse, 2007, vol. 128, no 1-2 , pp. 51-70.

Robbins, Sarah. Distributed Authorship : A Feminist Case-Study Framework for Studying Intellectual Property. *College English*, Vol. 66, No. 2 (2003) pp. 155-171.

Sartre, Jean Paul.- Qu'est-ce que la littérature ? Paris : Gallimard, c.1948, 1972.

Sell, S. E. and May, C. "Forgetting History is not an Option! Intellectual Property, Public Policy and Economic Development in Context". Paper presented at the annual meeting of the International Studies Association, Town & Country Resort and Convention Center, San Diego, Cal., 2006. http://www.allacademic.com/meta/p99750_index.html

Turnovsky, Geoffrey. « Vivre de sa plume » réflexions sur un topos de l'auctorialité moderne: «To live by one's pen ». Revue de synthèse, 2007, vol. 128, no 1-2 (273 p.) pp. 51-70

Verzola, Roberto. Towards a political economy of information. Quezon city, Philippines, Foundation for Nationalist Studies, 2004.

Yavuz, Perin Ernel. Présentation du livre « Profession : créatrice. La place des femmes dans le champ artistique » / sous la direction de Stéphanie Lachat, Agnese Fidecaro. In : Cahiers du Genre, n43, 2007.

صادر، راني. المرجع في اجتهادات الملكية الفكرية. – بيروت : صادر، ٢٠٠٦.

المال والنزاعات الزوجية

عائشة حرب

تمهيد:

إزاء المال كل منّا له ميوله وأهدافه وتوجّهاته،

إزاء المال كلّ منّا له دوافعه وتصرفاته وسلوكاته،

إزاء المال كل منّا له معتقداته وتوقّعاته، وعليه فالبعض يعتبره هدفاً بحدّ ذاته والبعض الآخر يعتبره وسيلة.

مشكلة الدراسة:

كون المال عصب الحياة وشريانها فهو عامل مؤثّر وفاعل في الحياة الزوجية.

فما هو إذن أثر المال في العلاقة الزوجية؟

هل المال يحسّن العلاقة الزوجية أو إنه يوتّرها؟

هل لاستقلال المراة المالي اثر في النزاعات المالية بين الزوجين؟

وهل للمستوى التعليمي _ الاقتصادي للزوجة العاملة وغير العاملة أثر مباشر في النزاعات المالية بين الزوجين؟

هل التحضير المالي قبل الزواج يخفف من حدة النزاعات المالية بين الزوجين؟

فرضيات الدراسة:

المال سلاح ذو حدّين: إيجابي وسلبي، وهذا مرهون بمستعمليه لجهة كيفية الاستفادة منه أو سوء التعاطي به!

من جهة، المال نعمة من نِعَم الحياة، نسعى جميعاً جاهدين للحصول عليه كي نؤمّن به طلباتنا ونلبّي رغباتنا، ونقضي حاجاتنا. ومن جهة ثانية يدخل المال عاملاً مشرذماً للعلاقة الزوجية التي تصاب بالتوتّر والنكد والكدر والنزاعات والشجار المتكرّر الذي ينهي أحياناً الحياة الزوجية بالطلاق. ما يهمنا هو تسليط الضوءعلى الوجهة السلبية كى نتقصى العوامل الفاعلة في النزاعات المالية بين الزوجين.

- تشتد النزاعات المالية بين الزوجين عندما تزاول الزوجة عملا تكسب منه.
- ترتفع حدة النزاعات المالية بين الزوجين كلما انخفض مستوى الدخل الاسري وتتراجع كلما ارتفع مستوى الدخل الاسري.
- تحتدم الخلافات المالية بين الزوجين في السنوات الاولى من الزواج.
- تخرق النزاعات المالية بين الزوجين كل الحدود حتى المستويات التعليمية العليا.
- ترتفع وتيرة المشاجرات المالية بين الزوجين لدى الفئات التي بحثت في موضوع المال ومسائله وقضاياه في فترة ما قبل الزواج بشكل عابر.

الدراسات السابقة[1]:

قبل التحقّق من صحة هذه الفرضيات لا بدّ من التوقّف عند بعض الدراسات الأجنبية التي تدور في فلك المال والزواج مع الإشارة إلى أن المكتبة العربية تفتقر إلى دراسات مماثلة.

«المال والزواج»:

موضوع دراسة أجريت في مدينة «لوس أنجلوس» الأميركية في العام ١٩٩٩ تؤكّد على ضرورة البحث في موضوع المال قبل القبول بالزواج فجاء شعارها «تحدثوا تحدثوا عن المال قبل أن تقولوا نعم قبلت الزواج». وهي دراسة موجهة إلى كل ثنائي مقبل على الزواج.

(١) www.google.com

«أثر المال على الزواج»:

موضوع دراسة أجريت في «مركز الزواج والعائلة» في جامعة كرينغتون في أميركا طُبّقت على عيّنة من /٢٠٠٠/ مستجوب ومستجوبة (رجل وامرأة) خلص فيها خبراء العلاقات الزوجية والخبراء الماليون إلى أنه: على «طرفيّ الزواج» مناقشة المسائل المالية قبل الزواج إذ أن عدم الإتفاق على هذه المسائل كثيراً ما يؤدّي إلى الطلاق فيما بعد.

«الزواج والمصروف»:

موضوع دراسة أجريت من قبل جمعية «بريدال Bridall» للاستشارات الزواجية، أظهرت أن ٦٧٪ من الأزواج يؤمنون أن أكثر المشاكل الحادة التي يواجهونها خلال السنة الأولى للزواج هي «المصروف».

كما أظهرت أن معظم المشاكل تنجم عن:

- الزوجين غير المنسجمين مالياً، بمعنى أن أحد الطرفين مسرف والآخر مقتّر.
- كون أحد الطرفين يريد التحكّم بكل المال.
- كون الأمور المالية تبقى سريّة.
- المداخيل تبقى منفصلة عن بعضها البعض لدرجة أنك تحسبهم زملاء في بيت واحد وليسوا أزواجاً.

منهجية الدراسة:

بالعودة إلى الفرضية وللتحقّق من صحتها ومصداقيتها فقد أجريت دراسة[٢] حول «العلاقة المالية بين الزوجين» أظهرت بوضوح أثر المال في الحياة الزوجية وخاصة في الجانب السلبي منه الذي تجسّد في النزاعات الزوجية من جهة وبالطلاق من جهة ثانية.

طبّقت الدراسة الميدانية من خلال استطلاع للرأي على عيّنة ضمّت /١٠٠٠/ زوجة، ٥٠٠ منها زوجة عاملة مقابل ٥٠٠ زوجة غيرعاملة (أي ربّة منزل).

توزّعت العيّنة على كافة مناطق بيروت الكبرى بمعدّل الثلث شرقاً وغرباً والثلث

(٢) حرب، عائشة، «العلاقة المالية بين الزوجين». بيروت، الدار العربية للعلوم، ٢٠٠٧.

الثاني من ضاحيتها الجنوبية والثلث الآخير من منطقة المتن. وقد شملت العيّنة مختلف الطوائف والشرائح العمرية الزواجية والمستويات التعليمية الثقافية والاقتصادية والمهنية.

وما المقارنة بين المرأة العاملة وغير العاملة في مواقفهما، وتصوراتهما، واتجاهاتهما وسلوكاتهما وممارساتهما المالية إلاّ لإظهار موقع المرأة العاملة من المال والقضايا المالية أي لإبراز أثر الاستقلالية المالية للمرأة على العلاقة الزوجية.

أما عن الأداة البحثية التي اعتُمدت فهي الاستمارة التي شملت /٤٥ سؤالاً/ توزّعت في محاور تلقي الضوء على المال وأثره في الحياة الزوجية كاشفة عن إيجابياته وسلبياته بغية تعزيز العلاقة الطيبة وترميم العلاقة المتوترة وتصويبها.

أهم محدّدات العيّنة: دراسة مقارنة بين الزوجة العاملة وغير العاملة:

تتناول هذه الدراسة الاحصائية هوية افراد العينة (النساء العاملات وغير العاملات) التعليمية والاقتصادية وعمر الزواج لديهن لما لهذه العوامل من تأثير مباشر في الحياة المالية بين الزوجين مع الاشارة الى ان الدراسة المقارنة ستتناول أكثر من جانب (السلوك المالي: وظيفة المال، التحضير المالي قبل الزواج)

اقتصرت الدراسة اذن على تحديد العوامل التالية:

عدد سنوات الزواج.

المستوى التعليمي للزوجة.

المستوى الاقتصادي.

اكدت الدراسات الاجنبية التي بحثت في موضوع «المال والزواج» ان السنوات الاولى للزواج تكون مشحونة بالخلافات على كل انواعها وخاصة المالية منها؛ ومردّ ذلك تفاعل الطرفين ببعضهما من هنا جاءت أهميته كعامل متغير في الحياة الزوجية.

ما هو عمر الزواج لنساء العينة العاملات وغير العاملات؟

جدول رقم (١) توزيع أفراد العيّنة تبعاً لعدد سنوات الزواج

الفئات العمرية للزواج	الزوجة العاملة ٥٠٠		الزوجة غير العاملة ٥٠٠	
عدد سنوات الزواج	العدد الفعلي	النسبة المئوية	العدد الفعلي	النسبة المئوية
١ – ٥	٨٥	٪١٧	٢٠	٪٤
٦ – ١٠	٥٠	٪١٠	٢٥	٪٥
١١ – ١٥	٦٠	٪١٢	٦٥	٪١٣
١٦ – ٢٠	١٠٥	٪٢١	٤٥	٪٩
٢١ – ٢٥	٩٠	٪١٨	٧٠	٪١٤
٢٦ – ٣٠	٦٥	٪١٣	٧٥	٪١٥
٣١ – ٣٥	٢٠	٪٤	٩٠	٪١٨
٣٦ – ٤٠	٢٥	٪٥	١١٠	٪٢٢
المجموع	٥٠٠	٪١٠٠	٥٠٠	٪١٠٠

يتبيّن من هذا الجدول أن نسبة الزوجات الشابات العاملات أعلى من نسبة الزوجات الشابات غير العاملات، وهذا يعني إقبال الرجال على الزواج من الفتاة العاملة أكثر مما هو عليه من غير العاملة. وهذا يصوّر لنا مدى اقتناع الرجل بعمل المرأة.

كذلك يظهر لنا كيف أن النسب في جدول الزوجة العاملة تصاعدية وفي جدول الزوجة غير العاملة تنازلية أي التوجّه العام نحو مزاولة المرأة لعمل ما، وتعزيز إنتاجيتها واستقلاليتها المالية. أما عن اتّخاذ عدد سنوات الزواج كمعيار للحكم على مدى صوابية العلاقة المالية بين الزوجين أو توترها في بدايات الحياة الزوجية ولإظهار مدى تأثير سنوات الزواج في التكيّف مع السلوكات المالية المتبادلة من قبل الطرفين فسنبيّنه لاحقاً ضمن الدراسة الإحصائية الترابطية.

ماذا عن المستوى التعليمي لأفراد العيّنة؟

جدول رقم (٢) توزيع أفراد العيّنة تبعاً للمستوى التعليمي

المستوى التعليمي	الزوجة العاملة		الزوجة غير العاملة	
	العدد الفعلي	النسبة المئوية	العدد الفعلي	النسبة المئوية
الابتدائي	٨٠	٪٢	١٠٥	٪٢١
المتوسط	٣٠	٪٦	١٣٥	٪٢٧
الثانوي	٦٠	٪١٢	١٧٥	٪٣٥
الجامعي	٢٢٥	٪٤٥	٧٥	٪٣٥
الدراسات العليا	١٢٥	٪٢٥	١٠	٪٢
الدكتوراه	٥٠	٪١٠	–	صفر٪
المجموع	٥٠٠	٪١٠٠	٥٠٠	٪١٠٠

يظهر الجدول مقارنة بين المستوى التعليمي للزوجة العاملة و المستوى التعليمي لدى الزوجة ربّة المنزل.

يظهر لنا الجدول انه كلما ارتفعنا في المستوى التعليمي ارتفعت معه نسبة النساء العاملات (٤٥٪) جامعي مقابل(٣٥ ٪) في فئة النساء غير العاملات كذلك الامر في مستوى الدراسات العليا الذي يشكل في فئة الزوجات العاملات ١٠ أضعاف مما هي عليه لدى النساء ربات البيوت اما حملة الدكتوراه فتقتصر على فئة الزوجة العاملة .

باختصار يظهر الجدول الخط التصاعدي للمستوى التعليمي للزوجة العاملة بينما الخط تنازلي للزوجة ربة المنزل.

ماذا عن الوضع الاقتصادي لعيّنة البحث؟

ماذا عن الراتب أو المدخول الشهري للثنائي العامل ولزوج ربّة المنزل؟

جدول رقم (٣) توزيع أفراد عينة البحث حسب المداخيل الشهرية

فئات المدخول الشهري	المستوى	الزوجة العاملة		الزوج		زوج ربّة المنزل	
		العدد الفعلي	٪	العدد الفعلي	٪	العدد الفعلي	٪
صفر–٥٠٠٠٠٠	متدنٍ	٤٠	٪٨	٢٥	٪٥	١٠	٪٢
٥٠٠٠٠١– ١٠٠٠٠٠٠	تحت الوسط	١٣٥	٪٢٧	٦٥	٪١٣	٤٠	٪٨
١٠٠٠٠٠١– ١٥٠٠٠٠٠	وسط	١٧٠	٪٣٤	١١٠	٪٢٢	١٠٥	٪٢١
١٥٠٠٠٠١– ٢٠٠٠٠٠٠	فوق الوسط	٨٠	٪١٦	١٧٥	٪٣٥	١٦٠	٪٣٢
٢٠٠٠٠٠١– ٢٥٠٠٠٠٠	مريح	٤٥	٪٩	٦٠	٪١٢	١٠٠	٪٢٠
٢٥٠٠٠٠١– ٣٠٠٠٠٠٠	مرتفع	١٥	٪٣	٣٠	٪٦	٣٥	٪٧
٣٠٠٠٠٠٠	مرتفع جداً	١٥	٪٣	٣٥	٪٧	٥٠	٪١٠
المجموع		٥٠٠	١٠٠	٥٠٠	١٠٠	٥٠٠	١٠٠

يظهر الجدول ما يلي:

١. أعلى نسبة في فئة المدخول المتدني تعود إلى الزوجة العاملة أي ٨٪ بالمقارنة مع ٥٪ التي تعود للزوج و٢٪ لزوج ربّة المنزل.

٢. تشكّل نسبة ٢٧٪ التي تعود لفئة المدخول تحت الوسط لدى الزوجة

العاملة ضعفي تقريباً ما هي عليه أي ١٣٪ لدى زوج الزوجة العاملة و٣ أضعاف ٨٪ لدى زوج ربّة المنزل.

٣. أما نسبة فئة المدخول فوق الوسط ١٦٪ التي تعود للزوجة العاملة فتشكّل حوالي نصف ما هي عليه لدى زوج الزوجة العاملة (٣٥٪) وما هي عليه لدى زوج ربّة المنزل (٣٢٪).

وهذا ما يؤكّد أن غالبية الأزواج الذكور تتقاضى رواتب أعلى من رواتب النساء.

٤. ما هو ملفت أن أعلى نسبة في فئة الدخل الشهري المريح ٢٠٪ تعود إلى زوج ربّة المنزل، وإن دلّ على شيء فإنه يدلّ على أن ذوي الدخل الشهري المريح يحولون دون مزاولة المرأة لعمل ما تكسب منه على اعتبار أن العمل بذهنية البعض هو للكسب المادي دون النظر إلى المكاسب الفكرية والنفسية والاجتماعية التي يمكن أن تحصّله المرأة من مزاولة عمل خارج المنزل.

وأشير في هذا المضمار أن نسبة لا يُستهان بها أي ١٢٪ من نساء العينة ككل يجهلن «بدقة» ما يدخله الزوج من راتب أو مدخول حرّ أو من مكافأة أو غيره. أما ما صرّحن به فكان على الوجه التقريبي. وتوزّعت هذه النسبة على (٤٪) لدى الزوجات العاملات و(٨٪) لدى الزوجات غير العاملات.

وفي محل آخر أخبرت بعضهن أنهن يتعاملن مع أزواجهن إزاء المداخيل «بالتداين» أي من احتاج استدان من الآخر، ودفع له فائدة في حال تأخير الاستحقاق كما هو الحال تماماً في المصرف.

وظيفة المال في العلاقة الزوجية

من المفيد ان نسلط الضوء على رؤية الزوجة العاملة وغير العاملة لوظيفة المال ودوره في العلاقة الزوجية وتصورها لفعاليته المباشرة الايجابية منها والسلبية

هذا ما يظهره الجدول التالي:

جدول رقم (٦) توزيع أفراد العينة تبعاً لوظيفة المال في العلاقة الزوجية

وظيفة المال	الزوجة العاملة		الزوجة غير العاملة	
	العدد الفعلي	٪	العدد الفعلي	٪
مقياس للحكم على المشاركة الفعلية بينهما	١٠٥	٪ ٢١	١٧٥	٪ ٣٥
مقياس التعاطف أو التودّد	٨٥	٪١٧	٦٠	٪ ١٢
مقياس للحكم على الأنانية	٦٠	٪ ١٢	١٢٥	٪ ٢٥
سبب من أسباب النزاعات الزوجية	١٧٥	٪ ٣٥	١٠٠	٪٢٠
سبب من أسباب الطلاق	٧٥	٪١٥	٤٠	٪٨
أمر ثانوي في آخر الأولويات	–		–	
الجموع	٥٠٠	٪١٠٠	٥٠٠	٪ ١٠٠

ماذا يظهره الجدول ؟

– من المستحيل (لدى الفئتين) ان تعتبر وظيفة المال أمراً ثانوياً في العلاقة الزوجية

– تتعدد وظائف المال وتتنوع بين ايجابية وسلبية .

– تتسم الوظيفتان الأوليان بالايجابية وقد جاءت بمعدل ٣٨٪ لدى الزوجة العاملة مقابل ٤٧٪ لدى الزوجة غير العاملة.

وتتسم الوظائف الثلاث الباقيات بالسلبية وجاءت بنسبة ٦٢٪ لدى الزوجة العاملة مقابل ٥٣٪ لدى الزوجة غير العاملة.

– ما هو ملفت ان النظرة السلبية لوظيفة المال في الحياة الزوجية هي أكثر طغياناً لدى الزوجة العاملة مما هي عليه لدى الزوجة غير العاملة بدليل ان المال (سبب من اسباب النزاعات والطلاق) جاء بمعدل ٥٠٪ لدى الزوجة العاملة مقابل

٢٨٪ لدى الزوجة ربة المنزل (الاولى ضعف الثانية) فالى اي مدى يتسبب المال بالنزاعات الزوجية؟ وما هي اسبابها؟

المال والنزاعات الزوجية

يعتبر روث غراهام «المال اساس نجاح الحياة الزوجية او فشلها» اذ انه يشبه المال بحقل الغام كبير بين الزوجين .

ويشدد غراهام على ضرورة تحصين العلاقة المالية من خلال قوله (ان السياج الجيد يزيد المحبة بين الجيران).

يقول خبراء الزواج في اميركا:

– ان اكثر من نصف المتزوجين في اميركا يتشاجرون بسبب المال.

– صنف المشاكل المالية بين الزوجين من اهم الاسباب الداعية الى عدم الوفاق بين الزوجين وتؤدي في اكثر الاحيان الى الطلاق(تكلموا عن المال قبل الزواج) دراسة جامعة فلوريدا .

ما هو وضع نساء العينة العاملات وغير العاملات ازاء النزاعات المالية؟ كمّاً ومدى؟ هذا ما سيبيّنه لنا الجدول التالي:

جدول رقم (٧) توزيع أفراد العيّنة تبعاً لتكرار النزاعات الزوجية

النزاعات الزوجية بسبب المال	الزوجة العاملة		الزوجة غير العاملة	
	العدد الفعلي	النسبة المئوية	العدد الفعلي	النسبة المئوية
كثيراً كثيراً	١٩٠	٣٨٪	٦٥	١٣٪
أحياناً	٢٣٥	٤٧٪	٢٩٥	٥٩٪
أبداً	٧٥	١٥٪	١٤٠	٣٨٪
المجموع	**٥٠٠**	**١٠٠٪**	**٥٠٠**	**١٠٠٪**

يظهر الجدول حجم الخلافات الزوجية التي يتسبب بها المال والمسائل المالية لدى الفئتين بشكل عام بمعدل ٨٥ ٪ لدى الزوجة العاملة مقابل ٧٢ ٪ لدى الزوجة غير العاملة .

يهمّنا من هذا الجدول أن نظهر أن نسبة النساء العاملات اللواتي يتشاجرن كثيراً كثيراً مع أزواجهن(٣٨٪) تمثّل ٣ أضعاف نسبة النساء غير العاملات (١٣٪).

وهذا ما يؤكد أن وتيرة النزاعات المالية بين الزوجين تشتد وتحتدم أكثر عندما تزاول الزوجة عملا تكسب منه . فما هي الدوافع ؟

أخيراً يجب أن تشير إلى أن غياب النزاعات المالية بين الزوجين لدى الزوجة ربة المنزل هو بمعدل ضعفين ونصف (٣٨٪) مما هو عليه لدى الزوجة العاملة (١٥٪) وهذا ما يؤكد صحة الفرضية الأولى .

أسباب النزاعات المالية:

١. يُعزي النساء العاملات هذه النزاعات المتكرّرة إلى سلوك الرجل أو سلوك المرأة المالي المتطرّف (التقتير أو الإسراف).

جدول رقم (٨) توزيع أفراد العينة تبعاً لتوصيفها لسلوكها وسلوك الزوج المالي

سلوك الزوج المالي	الزوجة العاملة		الزوجة غير العاملة	
	العدد الفعلي	٪	العدد الفعلي	٪
معتدل	٢٦٥	٥٣ ٪	٣٤٠	٦٨٪
مقتّر	١٢٥	٢٥٪	٨٥	١٧٪
مسرف	٦٥	١٣٪	٧٥	١٥٪
لا جواب	٤٥	٩٪	–	
مجموع	**٥٠٠**	**١٠٠٪**	**٥٠٠**	**١٠٠٪**

سلوك الزوجة المالي	الزوجة العاملة		الزوجة غير العاملة	
	العدد الفعلي	٪	العدد الفعلي	٪
معتدلة	٣٨٠	٧٦٪	٣٠٥	٦١٪
مقتّرة	٣٥	٧٪	٦٠	١٢٪
مسرفة	٤٠	٨٪	٨٥	١٧٪
لا جواب	٤٥	٩٪	٥٠	١٠٪
المجموع	**٥٠٠**	**١٠٠٪**	**٥٠٠**	**١٠٠٪**

في اي مجال السلوك المتطرف مكروه ومنبوذ، فكيف بالحري في مجال المال فلا الاسراف مقبول ولا التقتير مقبول وفي الحالتين حيد عن الخط الطبيعي في التصرف والسلوك.

وما يلفت في الجدول هو ان نسبة الزوجات المسرفات في فئة ربات البيوت (١٧٪) يساوي ضعف (٨٪) ما هي عليه لدى فئة الزوجات العاملات، وهذا ما ينبئ باعتراف الزوجة العاملة لقيمة المال وبالتالي قيمة الجهد الذي تبذله لكسبه.

٢. تُرد النزاعات المالية بين الزوجين في فئة النساء العاملات إلى الآلية المتبعة في التصرف بالمدخول كما يظهر الجدول التالي: (حصراً بالزوجة العاملة)

يعتبر خبراء العلاقات الزوجية في اميركا ان آلية التصرف بالمدخول هي عماد العلاقة الزوجية.

جدول رقم (٩) توزيع أفراد عينة الزوجات العاملة تبعاً لآلية التصرف بالراتب

آلية التصرف بالمدخول	الزوجة العاملة	
	العدد الفعلي	٪
* لي مطلق الحرية للتصرّف براتبي	٤٠	٨٪
* أضعه وراتب زوجي ويصعب عليّ أن آخذ جزءاً منه كي لا يغضب	٦٠	١٢٪
* مجبرة أنا. أعطي مدخولي لزوجي مجبرة على ذلك كي يتصرّف به كما يحلو له وإلاّ.....	٧٥	١٥٪
* بعد تأمين ما يلزم نضع جزءاً منه في حسابنا المشترك	٢١٠	٤٢٪
* نحدّد الأولويات ثم نتفّق على وضع جزء منه في حسابنا الخاص المنفصل	٧٠	١٤٪
* أخفي جزءاً منه دون علم زوجي	٤٥	٩٪
المجموع	**٥٠٠**	**١٠٠٪**

يظهر الجدول آلية التصرف براتب الزوجة العاملة وموقفها منها ومدى اقتناعها بها.

تتباين الآلية بين المشاركة الايجابية المالية الحقيقية والمتفق عليها من قبل الزوجين سواء أكانت الحسابات المشتركة (٤٢ ٪) ام منفصلة (١٤٪) .

أما الموقف السلبي للزوجات العاملات وموقفهن من آلية التصرف بالراتب والذي يتمثل بالمشاركة السلبية فجاء بمعدل ٣٦ ٪ (مجبرة انا. أخفي. أضعه وراتب زوجي) نسبة تنبئ بتحكم الزوج براتب الزوجة عدا اكراه الزوج زوجته على التصرف الخاطئ (اخفاء جزء من راتبي). الى جانب ما يتبع هذا السلوك من خوف وقلق وارتباك خشية ان يدرك الزوج فعلتها ويفقد الثقة بها.

الا يجسد هذا الواقع المؤلم ذلك العنف المالي الممارس على المرأة؟

٣. ما هي مواقف النساء العاملات من مساهمتهن في نفقات المعيشة؟ الجواب في الجدول التالي:

جدول رقم (١٠) توزيع أفراد العينة تبعاً لمساهمة الزوجة العاملة في نفقات المعيشة

(أكثر من اجابة)

الإجابات	الزوجة العاملة	
المساهمة في نفقات المصروف	**العدد الفعلي**	**٪**
* أمر مجبرة عليه	٧٥	١٥٪
* من حقي أن لا أساهم	٤٥	٣٪
* أمر يلحق بالمرأة الغبن	١٤٠	٢٨٪
* بدافع مني	١٣٠	٢٦٪
* أقوم بواجبي	١٦٠	٣٢٪
* أمر متّفق عليه	٤٠	٨٪

ملاحظة: المجموع يتخطى ال١٠٠٪.

يطلعنا هذا الجدول على الشعور الايجابي والسلبي الذي يمكن ان يصاحب الزوجة العاملة اثناء مساهمتها في نفقات المعيشة اليومية والاسبوعية والفصلية والسنوية

يتمثل الشعور الايجابي بالاقتناع والرضا والدافعية والحماس في العمل الذي تعيشه نسبة ٦٦٪ من عينة النساء العاملات

ويتمثل الشعور السلبي بالإكراه على القيام بالعمل والظلم والجور واغتصاب الحقوق الذي تعيشه نسبة ٤٦٪ من العينة

هذا الجدول ان دل على شيء فانما يدل على :

التفاعل النفسي الذي تعيشه الزوجة العاملة ازاء مشاركتها في نفقات المعيشة بين الاقبال والرفض، بين التحرر والتبعية الخ. هذه الاحاسيس والمشاعر والمواقف جميعها تشكل الارضية التي تنبثق عنها الاجواء المالية التي تخيم على الحياة الزوجية.

لا بد اذن أن نطّلع على هذه النسب المئوية كي نتحقّق من «غلغلة» النزاعات الزوجية بسبب المال وتوتّر العلاقة المالية بين الزوجين من خلال ممارسات حياتية بعيدة في بعض الأحيان كل البعد عن الاقتناع بها.

٤. ومن الأسباب الداعية إلى النزاعات المالية بين الزوجين موقف الزوج المُسيء للزوجة العاملة لجهة عدم تقدير جهودها والمتمثّل بتسجيل بعض المشتريات الكبرى كالشقة أو السيارة حصراً بإسمه ومنفرداً. وفي هذا الإطار نعرض الجدول التالي:

جدول رقم (١١) توزيع أفراد العينة تبعاً لتسجيل المشتريات الكبرى

المشتريات الكبرى	الزوجة العاملة				الزوجة غير العاملة			
	الزوج	الزوجة	الإثنان	لا جواب	الزوج	الزوجة	الإثنان	لا جواب
شقة سكنية	١٥٪	٧٪	٦٥٪	١٣٪	٦٥٪	١٢٪	١٣٪	١٠٪
سيارة	٥٥٪	٩٪	٢٥٪	١١٪	٧٨٪	٥٪	٥٪	١٢٪

يظهر الجدول ان تسجيل الشقة السكنية او السيارة باسم الزوجين تتواجد بنسبة أعلى بكثير لدى الفئة العاملة مما هي عليه لدى الفئة ربة المنزل (تقريبا ٥ أضعاف)

انه لاعتراف بالجهود التي تبذلها الزوجة أن تسجل الشقة او السيارة باسمها لدى الفئتين. إنه تقدير لها من قبل الزوج.

لكن أن تسجل هذه المشتريات الكبرى باسم الزوج فقط لدى فئة ربة المنزل يمكن لاعتبار ذلك حقاً مكتسباً له. اما ان تسجل باسم الزوج فقط لدى الفئة العاملة دون ان يشرك زوجته في جزء، فهذا هو العنف بعينه، هذا هو الظلم والاجحاف في حق الزوجة العاملة.

من الجدير ذكره هو أن الزوجة ربة المنزل هي أيضاً سيدة منتجة وليست مستهلكة بدليل أنه لو كانت تتقاضى الزوجة عن الاعمال المنزلية أجراً لتقاضت عنها مبلغاً يساوي أو يفوق ما يتقاضاه الرجل عن عمله.

واكدت الدراسة « القيمة المالية للزوجة » ان مجموع ما تتقاضاه اسبوعياً عن أعمالها المنزلية يبلغ تقريبا ٤٣١ دولارا اميركياً اي ما يعادل ١٨٧٠ دولاراً شهرياً. وهي دراسة اجريت في اميركا انتهت الى ان هذا المبلغ يتوجب على الرجل دفعه لزوجته.

انطلاقاً مما تقدم يمكن الجزم بان الزوجة العاملة تتقاضى راتباً أعلى من راتب الزوج لأنها تعمل في الداخل والخارج (توفير في الداخل وكسب من العمل)

الدراسة الترابطية وأثر المتغيّرات في النزاعات:

صحيح أن الخلافات المالية بين الزوجين تطال كافة الفئات والأسر لكن بنسب متفاوتة. من هنا جاءت أهمية الدراسة الترابطية التي تلقي الضوء مباشرة على فعالية بعض العوامل المؤثرة في ظاهرة النزاعات المالية بين الزوجين وهي متنوعة ومتعددة لكن على سبيل المثال لا الحصر:

عمر الزواج.

المستوى التعليمي.

المستوى الاقتصادي الأسري.

التحضير المالي قبل الزواج.

ملاحظة: أذكر أن عينة النساء العاملات اللواتي يعشن شجاراً محتدماً ومتكرراً هن بمعدل ١٩٠ زوجة عاملة مقابل ٦٥ زوجة ربة منزل.

– هل لعدد سنوات الزواج تأثير مباشر في النزاعات المالية بين الزوجين؟ الجواب في الجدول التالي:

جدول رقم (١٢) دراسة تأثير عدد سنوات الزواج في النزاعات المالية بين الزوجين

فئات عمر الزواج / عدد سنوات الزواج	الزوجة العاملة ٣٨٪ = ١٩٠ إمرأة		الزوجة غير العاملة ١٣٪ = ٦٥ إمرأة	
	العدد الفعلي	النسبة المئوية	العدد الفعلي	النسبة المئوية
١ – ٥	٧٥	٣٩٪	١٢	١٩٪
٦ – ١٠	٣٥	١٨٪	١٥	٢٣٪
١١ – ١٥	٢٤	١٣٪	٨	١٣٪
١٦ – ٢٠	٢٧	١٤٪	١١	١٧٪
٢١ – ٢٥	١٤	٠٧٪	٥	٧٪
٢٦ – ٣٠	٤	٠٢٪	٩	١٤٪
٣١ – ٣٥	٤	٠٢٪	٣	٥٪
لا جواب	٧	لا جواب	٢	–
المجموع	**١٩٠**	**١٠٠٪**	**٦٥**	**١٠٠٪**

نلاحظ من هذا الجدول أن الشريحة العمرية الزواجية (١–٥ سنوات) تأتي في طليعة الشرائح العمرية الزواجية، التي تستأثر بالشجار المالي بمعنى أن الأزواج الجُدد يتعرّضون إلى سلوكات ومواقف وممارسات مالية متوتّرة. وربما يعود السبب إلى عدم التكيّف الكافي فيما بينهما مع الأمور والمسائل المالية وربما إلى عدم مناقشة المواضيع المالية والتفاهم والتوافق عليها بين الثنائي في فترة الخطبة.

تستحضرني هنا دراسة (الزواج والمصروف) التي أظهرت ان ٦٧٪ من الأزواج يؤمنون أن أكثر المشاكل الحادة التي يواجهونها خلال السنة الاولى للزواج هي المصروف.

١- ما هو أثر الوضع الاقتصادي على النزاعات والمشاحنات المالية بين الزوجين؟ الجواب في الجدول التالي:

جدول رقم (١٣) أثر الوضع الاقتصادي في المشاجرات المالية بين الزوجين

المستوى الاقتصادي الأسري	نسبة الشجار المتكرّر الزوجة العاملة		نسبة الشجار المتكرّر الزوجة غير العاملة	
	العدد الفعلي	النسبة المئوية	العدد الفعلي	النسبة المئوية
متدنٍ	١٦	٪٨,٤	٣	٪٤,٦
تحت الوسط	٥٣	٪٢٧,٨	٨	٪١٢,٣
وسط	٧٢	٪٣٧,٨	١٧	٪٢٦,١
فوق الوسط	٣١	٪١٦,٣	٢٤	٪٣٦,٩
مرتاح	١٢	٪٦,٣	١١	٪١٦,٩
مرتفع	٥	٪٢,٦	١	٪١,٥
مرتفع جدا	١	٪٠,٥	١	٪١,٥
المجموع	**١٩٠**	**٪١٠٠**	**٦٥**	**٪١٠٠**

في فئة الزوجة العاملة نلاحظ أن الطبقة ذات المدخول الوسط تتعرّض للمشاحنات أكثر من غيرها من الطبقات (٣٧,٨٪) كما نلاحظ أنه كلما ارتفع المستوى الاقتصادي خفّت المشاجرات بين الثنائي.

يلي طبقة المدخول الوسط، طبقة تحت الوسط حيث النسبة ٢٧,٨٪ ممن يتشاجرن كثيراً مع أزواجهن بسبب المال والسلوكات المالية مما يُسيء إلى العلاقة المالية بينهما.

أما في فئة ربات البيوت، فإن أكثر احتدام للتشاجر والصدام، يكمن في الفئة فوق الوسط ٣٦,٩٪ يليها الوسط (٢٦,١٪).

ما هو ملفت أن نسبة المتشاجرات في فئة الزوجة العاملة في المستوى المتدني تساوي ضعف تلك الموجودة في الفئة غير العاملة (٨,٤٪ - ٤,٦٪).

كذلك الأمر بالنسبة لطبقة تحت الوسط فإن نسبة المتشاجرات مع أزواجهن

بسبب المال هي أقلّ في مجموعة ربات المنزل مما هي عليه في مجموعة العاملات.

بعد هذا التفصيل يمكن استنتاج ما يلي :

تشتد النزاعات وتحتدم بين الزوجين في الاسر ذوات المستويات الاقتصادية الوسط وما دون (نزولا) لدى فئة الزوجة العاملة (٧٦٪) مقابل(: ٤٢٪) الاولى تضاعف الثانية

تخف النزاعات المالية وتتراجع بين الزوجين في الاسر ذوات المستويات الاقتصادية (فوق الوسط والمرتاح والمرتفع) لدى فئة الزوجة العاملة (٢٤٪) ومقابل(٥٨٪) لدى الزوجة ربة المنزل وتشكل النسبة الاولى نصف الثانية.

يمكن ربط هذه النتائج بنتائج جدول رقم (٨) الذي يظهر أن نسبة المسرفات ١٧٪ هن في فئة ربة المنزل وشكلت ضعف ما هي عليه في فئة الزوجة العاملة (٨٪).

في كل الاحوال إن النزاعات المالية بين الزوجين في فئة النساء العاملات هي أخطر على الحياة الزوجية مما هي عليه في فئة النساء غير العاملات.

هل من ترابط بين المستوى التعليمي والمشاجرات المالية المتكرّرة بين الزوجين؟

جدول رقم (١٤) أثر الوضع التعليمي في النزاعات الزوجية المالية

المستوى التعليمي	الزوجة العاملة		الزوجة غير العاملة	
	العدد الفعلي	النسبة المئوية	العدد الفعلي	النسبة المئوية
الإبتدائي	٧	٤٪	٣	٥٪
المتوسط	٩	٥٪	٥	٨٪
الثانوي	١٤	٧٪	٣٧	٥٧٪
الجامعي	١٠٤	٥٥٪	١٤	٢١٪
الدراسات العليا	٤٦	٢٤٪	٦	٩٪
الدكتوراه	١٠	٥٪	–	–
المجموع	**١٩٠**	**١٠٠**	**٦٥**	**١٠٠**

إن المشاجرات بين الزوجين بسبب الأمور المالية تتواجد في كل الشرائح التعليمية.

تكمن أعلى نسبة للمتشاجرات مالياً في المستوى الجامعي ٥٥٪ لدى الزوجة العاملة و٥٧٪ في المستوى الثانوي لدى الزوجة غير العاملة.

كلنا يعتقد ان ارتفاع المستوى التعليمي يردع الخلافات الزوجية وخاصة المالية منها وتحديداً لدى الزوجة العاملة لكن الجدول اظهر نتائج غير متوقعة.

وما هو ملفت هو ان المشادات والمشاجرات المالية لم توفر فئة من الفئات بل طالتها كلها وخرقتها بما في ذلك مستوى الدراسات العليا وحملة الدكتوراه بنسب لا يستهان بها ويجب التوقف عندها.

ما هو أثر التحضير المالي قبل الزواج في النزاعات المالية بين الزوجين؟

جدول رقم (١٥) أثر التحضيرالمالي قبل الزواج في المنازعات المالية بين الزوجين

البحث في مواضيع المال والتوافق حولها	الزوجة العاملة نسبة الشجار المتكرّر				الزوجة غير العاملة			
	كاف		وسط		عابر			
	عاملة	ربة منزل	عاملة	ربة منزل	عاملة	ربة منزل		
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
المدخول والمصروف	٣١	٪١٦,٣	١٢	٪١٨,٤	٦٧	٪٣٥,٢	٢٣	٪٣٥	٩٢	٪٤٨,٢	٣٠	٪٤٦
تحديد الأولويات	١٦	٪٨,٤	٣	٪٤,٦	٨١	٪٤٢,٦	١٥	٪٢٣,٢	٩٣	٪٤٨,٩	٤٧	٪٧٢
تولي مسؤوليات دفع النفقات المتوجبة	٢٢	١١,٥	–		٧٢	٪٣٧,٨	–		٩٦	٪٥٠,٥	–	

توضيح: الجدول هذا يدرس نسبة المتشاجرات مالياً في كل عيّنة، العاملة وغير العاملة، وفي كل مجموعة من كل عيّنة أي مجموعة من تحضّر بشكل كافٍ ووسط وعابر.

وأذكّر بأن نسبة اللواتي يتشاجرن كثيراً في عيّنة الزوجات العاملات هي (٣٨٪) ما يساوي (١٩٠) إمرأة. ونسبتهن في عيّنة ربات المنزل (١٣٪) ما يساوي (٦٥) إمرأة.

ما يظهره الجدول هو أن نسبة المتشاجرات في مجموعة الزوجات العاملات اللواتي سبق لهن أن بحثن بشكل جدّي وكافٍ في القضايا المالية هي أقلّ بكثير من المجموعات الأخرى (مجموعة وسط) و(مجموعة عابر) وهي تساوي: مجموعة وسط ١٦,٣٪ مقابل ٣٥,٢٪ وتساوي مجموعة عابر ١٦,٣٪ مقابل ٤٨,٢٪.

هذا ما تؤكده الفرضية المعنية.

ماذا الآن عن أثر المال ودوره في الطلاق؟

دراسات عدّة تناولت الطلاق لجهة أسبابه ومفاعيله ومعالجتهما لكنها لم تتطرّق يوماً وبشكل مباشر للبحث في أثر المال ودوره في الطلاق، لذا عمدت إلى إجراء دراسة ميدانية وسريعة تظهر «فعل المال في الطلاق» ضمّت عيّنة من السيدات المطلقات العاملات وعددهن (١٧ سيدة) والسيدات المطلقات ربات المنزل وعددهن (٧ سيدات) التقيتهن مجموعات وفرادى معتمدة في المجموعات «أسلوب المجموعة البؤرية» (مقابلات جماعية) ومعتمدة في الفرادى مقابلات فردية.

تضمّنت المقابلة (وهي شبه موجهة) عدداً من النقاط: العمر الزمني، عمر الزواج، المستوى التعليمي، الاقتصادي، عدد الأولاد، أسباب الطلاق، موقع المال من الطلاق، أوضاع المطلقات الحالية.

أ. بناء المجموعة الأولى:

١. إن موضوع «الطلاق» يأخذ حيّزاً كبيراً من اهتماماتنا وهو، كما نلاحظ، يتفشّى في الأسر اللبنانية حتى أصبحت متآلفة معه رغم كل مساوئه. والحديث عن الطلاق يتلازم دائماً مع الحديث عن أسبابه حتى بتنا نقول: (تطلقا بسبب كذا وكذا) وهذا ما كنّا نتناقش حوله في سهرة عائلية، ويا لهول ما سمعت! ٧ سيدات معلمات مطلقات يدرسِّن في مدرسة واحدة يسكن بعد طلاقهن مع أهاليهن وجميعهن يربّين أولادهن على نفقاتهن.

وسرعان ما تمّ الاتصال بالسيدات المطلقات طالبة اللقاء بهن للبحث في

موضوع الساعة متقصّية السبب المباشر في الطلاق. وهكذا طبّقت معهن أسلوب «المجموعة البؤرية»[٣] لما لديهن من تجانس وثيق في العديد من الخصائص المتشابهة.

٢. توصيف أفراد المجموعة الأولى:

العمر يتراوح ما بين ٢٧–٣٥ سنة.

المستوى التعليمي هو الثانوي.

المستوى الاقتصادي يتراوح الراتب ما بين ٧٠٠٠٠٠ ل.ل. – ٨٠٠٠٠٠ ل.ل. شهرياً.

عمر الزواج يتراوح ما بين ٤ و٧ سنوات.

عدد الأولاد من ولد إلى ٣ أولاد.

٣. الجلسة:

إمتدّت الجلسة زهاء ثلاث ساعات أفرغت فيها السيدات معاناتهن المالية مع أزواجهن متمنين «أن تصل صرختهن إلى المجتمع الذي يفتقر إلى العدل والإنصاف وخاصة لجهة حقوق المرأة المالية.»

٤. أسباب الطلاق لدى أفراد المجموعة الأولى حسب تصريحاتهن:

السيدة (أ) تقول:«كان على الحديد» أي فقيراً عندما تعرّفت عليه صاحب مهنة حرّة. اقترض مبلغاً من البنك على إسمي ما زلت أسدّد سنداته حتى بعد الطلاق. عندما تمكّن مالياً غدر بي وتزوّج ثانية.»

السيدة (ب) تقول: «إن عدم التكافؤ الاقتصادي بين عائلتي وعائلة زوجي دفع بأهلي لمساندتنا مالياً إذ أنه يعجز عن تأمين حتى الحاجات الأساسية. لكنه إزاء هذه المساعدة كان يفجّر الوضع حتى أصبح لا يُطاق (عنف وتعنيف بكل أشكاله) إلى أن تمّ الطلاق. وعدت لمتابعة دراستي حتى تمكّنت من الحصول على عمل كمدرِّسة في مدرسة وها أنا عدت لبيت أهلي أنا وطفلي.»

السيدة (ج) تقول: «كان زوجي موظفاً في بنك المدينة حتى إعلان إفلاسه.

(٣) حسنين، محمد حسين (٢٠٠٢) «أسلوب المجموعة البؤرية». دار فابس، عمان.

فأصبح عاطلاً عن العمل ومقامراً في آن واحد وترك المسؤولية بكاملها على عاتقي.»

السيدة (د): «عندما تزوّجت لم أكن أزاول عملاً وكان الوضع المالي دون الوسط فصمّمت على البحث عن عمل لمساندته إلى أن قُبلت للتعليم في المدرسة. ومن حينها اتّكل عليّ وعلى راتبي لتأمين كافة المسؤوليات المالية وأخذ هو يهتمّ بنفسه دون أن يلتفت إلى الأسرة أو الأولاد أو البيت (هروب من المسؤولية المالية)».

السيدة (هـ): «ساندته والدي مالياً حتى حصل على الدكتوراه وعندها تحوّل إلى رجل مغرور مصرّحاً أن لا تكافؤ بيني وبينه ثقافياً مما حوّل البيت إلى جحيم.»

السيّدتان (و–ز): زوجي يعمل في الخارج للحصول على المال الذي دمّر به أسرتنا، بحيث أحسّ بالغربة تجاهي وتجاه الأولاد، مما دفعه إلى الاتكال المطلق على مدخولي في تدبير كافة المسؤوليات وإذ به يرسل إليّ وثيقة الطلاق. أما هو فقد تزوّج وبقي في الخارج.

٥. موقع المال من الطلاق:

تؤكّد السيدات السبع أن هروب الزوج من تحمّل المسؤولية المالية تجاه أسرته، واعتماده على مدخول الزوجة والتلكّؤ والتباطؤ في تحسين الوضع المالي للأسرة من قبله. جميع هذه العوامل تشكّل مؤشرات جوهرية في احتدام النزاعات التي تنهي الحياة الزوجية بالطلاق.

٦. أوضاعهن بعد الطلاق:

السكن مع الأهل.

يربّين أطفالهن.

الطليق يتهرّب من دفع النفقة وإلاّ يهدّد طليقته بعدم رؤية طفلها.

ب. بناء المجموعة الثانية:

١. أربع سيدات مطلقات عاملات في وظائف الدولة ينتمين إلى عيّنة استطلاع الرأي (٣٨٪) حيث الشجار المتكرّر بل والمحتدم مع أزواجهن بسبب المدخول والمصروف.

٢. توصيف أفراد المجموعة الثانية:

العمر يتراوح ما بين ٢٣ – ٣٠ عاماً.

المستوى التعليمي جامعي.

المستوى الاقتصادي مقبول (١٤٠٠٠٠٠ ل.ل. – ١٧٠٠٠٠٠ ل.ل.)

عمر الزواج يتراوح بين (٣ – ٥) سنوات.

عدد الأولاد ولد واحد.

٣. الجلسة: إتصال هاتفي:

اثناء تعبئة الاستمارة كانت السيدات الاربع في ذروة النزاعات المالية وصرحن:

سيدة أ: «لا اتحمل مطلق سؤال يوجهه لي زوجي يتعلق بالمدخول والمصروف. سرعان ما انفعل. أشعر أنه يحاسبني وينفعل هو أيضاً فنتشاجر وصولا للتعنيف اللفظي ويتبعه الجسدي وهو أيضاً يغضب كثيراً لحد لا يحتمل عندما يعرف أنني صرفت مبلغاً ولو زهيداً علي او على طفلي او حتى عليه».

سيدة ب: «حساسيتي وحساسيته مفرطة تجاه المال والمساهمة بالنفقات وكان قد وعدني بان لا أساهم في مصاريف البيت لكنه أخل بوعده»

سيدة ج: «يحلّل الصرف على نفسه ويحرّمه علي وهكذا كانت الصرخة تتكرر حتى تحول البيت الى جحيم »

سيدة د: «انه بخيل بل مقتر وأنا أحياناً كي اغيظه أكثر من الصرف لأنتقم إذ إن ما أصرفه هو من تعبي وليس من تعبه».

٤. موقع المال من الطلاق:

حسب تصريحاتهن فإن المال والعلاقة المالية السيئة الناتجة عن سلوكات مالية متطرّفة من قبل الطرفين تعدّ من الأسباب الجوهرية في إنهاء الحياة الزوجية رغم أنهن نادمات على فعلتهن.

٥. أوضاعهن بعد الطلاق:

السكن مع الأهل.

لا نفقة.

يقمن بتربية أبنائهن.

ج. بناء المجموعة الثالثة:

١. في مقابلة جماعية واعتماداً على أسلوب «المجموعة البؤرية» استطعت وباسم الزمالة والصداقة أن ألتقي على فنجان قهوة ٦ سيدات مطلّقات موظفات في القطاعين العام والخاص ويشغلن مناصب عالية، للوقوف على جوهر الأسباب الداعية إلى إنهاء حياتهن الزوجية مع أزواجهن ولتحديد دور المال في هذه النتيجة المؤلمة.

٢. توصيف أفراد المجموعة الثالثة:

تتعدّى أعمارهن العقد الخامس والسادس.

المستوى التعليمي يتخطّى الدراسات العالية حتى الدكتوراه عند بعضهن.

المستوى الإقتصادي: المدخول مرتاح ومرتفع.

عمر الزواج يتخطّى الـ٣٠ سنة.

عدد الأولاد بين ولدين وثلاثة أولاد.

٣. الجلسة:

كانت الجلسة جلسة نقاش منفتح وراقٍ وكانت جلسة حارة جداً امتدت على أربع ساعات تخلل النقاش مواقف متباينة بين الذاتية والموضوعية بين العاطفية والعقلانية اتسم اللقاء بالتعبير الحر والجرأة والصراحة :

– **سيدة أ:** «دفعت مبلغاً كبيراً لزوجي كي اتحرّر من القيود المادية والمعنوية التي كانت تُمارس عليّ من قبل زوجي. إذن المال ساهم في طلاقي» .

– **سيدة(ب_ ج _ د):** « نحن مطلقان نخضع ونطبق ما يسمى بالطلاق الخفي او اللا معلن او المستتر حفاظاً على مشاعر أفراد العائلة وحفاظاً على سمعتنا في المجتمع وحفاظاً على استقرار أبنائنا».

«نحن ثنائي يعيش في المنزل نفسه كالغرباء وكُنّا قد عشْنا أجواءً صعبة جداً من الخلافات المرة . تشاركنا سابقاً بشراء شقة سكنية من الصعب أن يتفرّد بها أحدنا ومن الصعب أن يستأجر مسكناً غيره لعدم توفّر المال لشراء مسكن آخر».

– **سيدة (ه_ و):** « لم يتحمل زوجي أن يصبح مدخولي أعلى من مدخوله مما قلب الجوّ إلى جحيم. واخذ يكثر من المشتريات كي يثقل كاهلي »

«كفانا نكداً وكدراً»

«كفانا عنفا بمختلف ألوانه واشكاله وخاصة العنف المالي منه»

«عانينا كثيراً من التضييق والتدقيق و«الخنقة» المستمرّة على أعناقنا، صبرنا لأجل الأولاد. ولم نعد نحتمل هذا الوضع. نريد أن نعيش، أن نتمتّع باستقلاليتنا المالية التي حصلنا عليها. »

٦. موقع المال من الطلاق:

إذن المال يلعب دوراً كبيراً وملحوظاً في هذه الفئة العمرية. ربما أن الإنسان يستنفد قواه وقدرته على التحمّل بعدما قطع تقريباً ربع قرن من المعاناة وبعد اعتماد كل سبل المعالجات التي تبوء بالفشل وتعجز عن تصحيح العلاقة أو الوضع الزوجي المشحون بالخلافات والمشاحنات.

د. بناء المجموعة الرابعة:

١. في مجموعة بؤرية أخيرة أي عن طريق المقابلة الجماعية التقيتهن وعددهن ٧ سبع سيدات مطلقات غير عاملات حتى نهاية الحياة الزوجية أي إلى حين الطلاق.

٣ سيدات منهن ينتمين إلى عيّنة استطلاع الرأي وكن آنذاك على خلاف قاسٍ وشرس.

٢. توصيف أفراد المجموعة الرابعة:

أعمارهن تتراوح ما بين ٢٨ – ٤٥ سنة.

مستواهن التعليمي ما بين الثانوي والجامعي.

من مختلف الطبقات الاقتصادية.

عمر الزواج ما بين ٣ و١٥ سنة.

عدد الأولاد ما بين ولد و٤ أولاد.

٣. الجلسة:

تحدّثنا، تناقشنا، تحاورنا حول أوضاع كل منهن بهدف تحديد الأسباب الداعية

للطلاق، فكانت جلسة تتّسم بالصراحة والصدق والمصداقية. إنهن بحاجة لأن يتكلّمن مع أحد يصغي لهن ولمعاناتهن، ولمشاكلهن التي لم تحلّ حتى بالطلاق. كم لمست منهن المعاناة وكم سمعت منهن الآهات وكم لحظت في عيونهن الدموع. دموع الحزن والأسى على الوقت الضائع وعلى فوات الأوان.

٤. أسباب الطلاق وموقع المال فيها:

فرغم معاناة وشكاوى بعضهن من سلوك الزوج المالي المتطرّف أحياناً والمتمثّل بالإسراف أو بالتقتير إلاّ أن مثل هذه السلوكات لا تعنيهن كثيراً ولا يعتبرنها من الأسباب الجوهرية التي تؤدّي إلى الطلاق. فقد صرحن أن مثل هذه السلوكات يصبرن عليها ويتحملنها رغم تصنيفها في إطار العنف الاقتصادي لكن ما هو أهمّ هو العنف المُمارس عليهن من قبل الزوج أو أهله. هذا العنف المادي (عنف جسدي أو معنوي، جرح نفسي) المتمثّل بالخيانة الزوجية: معاشرة امرأة أخرى أو الزواج بامرأة ثانية.

إذن لم يكن المال في حالة أي منهن هو السبب الفصل للحياة الزوجية وإنهائها بالطلاق.

٥. أوضاعهن بعد الطلاق:

السيدات جميعهن توجهن بعد الطلاق إما لمتابعة الدراسة أو لاكتساب مهنة أو حرفة يزاولنها ليعشن منها باستقلالية مالية دون الحاجة إلى مساعدة الآخرين مثل الخياطة، فن الطبخ، الأعمال اليدوية، مربية لأطفال أو لمسنين. بعضهن مستقلات بسكنهن وبعضهن يسكن مع أبنائهن.

جدول الأسباب المالية الداعية للطاق:

الأسباب الداعية للطلاق ودور المال فيها	السيدات المطلقات العاملات			غير العاملات
	المجموعة الأولى	المجموعة الثانية	المجموعة الثالثة	المجموعة الرابعة
* السلوك المالي المتطرّف: التقتير والإسراف		X		
* الحساسية المفرطة إزاء موضوع المال عند الثنائي		X		
* حب الاستئثار والتحكم عند الرجل بمال المرأة	X		X	
* الطمع عند الرجل براتب المرأة	X			
* رغبة المرأة بعدم المشاركة في النفقات والاستئثار بمدخولها		X	X	
* حب المال دفع بالزوج إلى الخارج/أصبح غريباً. الاهتمام بمظهره وتأمين حاجاته على حساب الأسرة		X		
* الاتكالية من قبل الزوج على مدخول الزوجة	X			
* التضييق والتدقيق على المرأة				X
* التضييق والتدقيق على الرجل				X

* إستغلال المرأة مالياً				X
* العنف المالي/التسلّط	X			
* عدم التكافؤ الاقتصادي بين الزوجين	X			
* الهروب من المسؤولية المالية	X			
* الإكثار من المشتريات ليثقل كاهل المرأة		X		
* شراء الشقة والسيارة وتسجيلهما باسم الزوج			X	
* العنف الجسدي والمالي				X X
* الزوجة تدفع المال للزوج للتحرر من قيود التبعية المالية			X	
* البطالة والتلكؤ والتباطؤ في تأمين عمل	X			

خاتمة:

نستنتج من هذه الدراسة الميدانية المتعدّدة الأدوات البحثية (استطلاع رأي ومقابلات) ان للمال عدة وظائف منها الايجابية ومنها السلبية:

الايجابية كأن تقرب الزوجين وتوطد علاقتهما، والسلبية كأن توترها بالخلافات والنزاعات.

إن المال يدخل عاملاً موفقاً مهماً في حياة بعض الأزواج وإسعادهم وذلك بفضل التفاهم والبحث في موضوع المال قبل الزواج أو بعده وضرورة الإتفاق والتوافق على جزئيات الموضوع وحيثياته بأدقّ تفاصيله بشكل جدّي رصين مثل المدخول والمصروف وتحديد الأولويات وتحديد آليات الإنفاق وآلية الادخار ضمن حسابين أو حساب واحد مشترك، وهذا ما يوطّد اللُّحمة الزوجية ويجعل الثنائي يعيش تودّداً وحميمية أكبر.

ومن جهة ثانية المال يدخل عاملاً موتّراً للحياة الزوجية ومفكّكاً لها في بعض الأحيان لما يشهده الثنائي من حساسية مفرطة إزاء موضوع المال أو لاستئثار واحدهما بالمال، والتحكم به دون الأخذ بعين الاعتبار من قبل الزوج لجهود المرأة المبذولة لتحسين مستوى المعيشة.

اذا« يكون المال هنا سبباً» في خلق الخلاف والشجار بين الزوجين واكثر ما تتفعّل ظاهرة النزاعات المالية بين الشريكين هو لدى فئة الزوجات العاملات لحساسية الموضوع والتكتم عليه لاعتباره من المحظورات والممنوعات من قبل الطرفين

كما تتفعّل النزاعات المالية في الطبقات الاقتصادية الفقيرة والوسط بعكس الطبقات الاقتصادية المرتاحة حيث تهدأ وتخف النزاعات المالية بين الزوجين.

واكثر ما يزيد من حدة النزاعات المالية هو السلوك المالي المتطرف لدى أحد الطرفين يلي ذلك آلية التصرف بالمدخول وخاصة مدخول الزوجة حيث يظهر ميل الزوج ورغبته في التسلط والتحكم بالمداخيل وحرمان الزوجة من التمتع نوعاً ما باستقلاليتها المالية، والتي ضحت كثيراً للحصول عليها.

بالنسبة للنزاعات المالية بين الزوجين أكدت دراسة (الزواج والطلاق) التي أجريت في ولاية نيو جرسي في العام ٢٠٠٠ على أهمية التوقف عند آلية التصرف بالمدخول عن طريق عرض ثلاث طرائق لإدارة الشؤون المالية بين الزوجين:

- جمع ما لكما في حساب واحد.
- كل واحد منكما له حساب وتقسيم المصروف بينكما.
- كل واحد له حساب ولكن ايضا يوجد حساب مشترك.

اذا كنتما تريدان ان تصبحا شريكين زوجين يجب ان تصبحا شريكين ماليين.

وتضيف الدراسة : ان الحفاظ على حسابين منفصلين معناه خطوة اولى لكتم الاسرار عن بعضكما، هناك أمثلة كثيرة عن زوجين كانا غير صريحين بشأن حسابهما وإبقاء حساب كل واحد منهما بمعزل عن الآخر مما سحب التكتم والتعتيم على مواضيع أخرى.

فمن استطلاع الرأي والمقابلات مجتمعة نخلص إلى أن استقلالية المرأة المالية تُوظّف عند البعض بشكل خاطئ، ويُساء فهمها من قبل بعض النساء والرجال. وتستثمر في غير محلها حيث يجب أن تكون إسعاد الأسرة. من هنا يجب إعادة النظر في استقلالية المرأة المالية من قبل المرأة والرجل على حدّ سواء كاشفين عن الحقوق والواجبات، المهمات والآليات، السلوكات والتوجهات. «شيء ثمين يجب أن نحافظ عليه».

«المال حقل ألغام» يجب الانتباه إليه قبل أن ينفجر.

أهم ما يجب تقديمه للمرأة هو تحصين اوضاعها بـ«حفنة» من القوانين تحفظ لها حقوقها وتضمن لها كرامتها ومستقبلها.

علاقة النساء بالمال:
قراءة نفس تحليلية

عدنان حب الله

في الدراسات التحليلية التي انكبت على نفسانية المرأة، انطلاقاً من فرويد وانتهاء بجاك لاكان بدت المرأة أشبه باللغز الذي يعصى حله. فبالنسبة إلى الأول هي مستنقع أسود يصعب تحديد غوره، وبالنسبة للثاني فقد طرح السؤال «ماذا تريد المرأة؟» دون أن يجد جواباً نهائياً سوى قوله الذي يختزل معضلتها: «أطلب منك أن ترفض ما أطلبه منك، لأن ما تعطيني إياه ليس موضوع طلبي»، طلب موجه إلى الرجل، لكي يضعه أمام تعجيز وفي حيرة من أمره في كيفية التعاطي مع المرأة. فهي تفتش عن رجل سيد لكي تسود عليه. وموضوع السيادة يأخذ ثلاثة أشكال: السلطة الاجتماعية بما فيها السياسية والسلطة الفكرية وسلطة المال. فهذه المسائل الثلاث تدخل في تركيبة هوام المرأة لكي تشكل جاذباً وإغراء لا يخلو من الإثارة الشبقية.

أحصر كلامي بالمال وأترك الموضوعين الأخيرين لأنهما يتطلبان بحثاً آخر على انفراد. المال بمدلوله له أوجه عديدة ابتداء من تأمين الحاجات الحياتية صعوداً إلى الثروة التي تحتل موضوع الرغبة وتصبح وعداً بالسعادة عبر تحقيق الهوامات.

في الماضي كانت المرأة مرهونة بكل

حاجاتها الحياتية للرجل مقابل الإذعان لطاعته والاهتمام بالمنزل وتربية الأطفال. ولا يتعدى دورها الاجتماعي هذه الحدود ما عدا بعض الاستثناءات. ولكن شهدنا منذ أواسط القرن الماضي حركة تحرر نسائية تطالب بالمساواة مع الرجل ورفض هذا الإذعان المشروط لسيادته.

ويكمن وراء هذه الجرأة تغير في الظروف الاجتماعية والثقافية والمعيشية. فخرجت المرأة من هذا الدور المتوارث إلى حقل الرجل وأبدت حضوراً متميزاً في كل المجالات أجبرت الرجل أن يعترف بكفاءتها لا سيما في البلدان الأوروبية ويقبل بمنافستها ولو كان ذلك على حساب الفحولة التي تعطيه حق الأفضلية.

بدأت هذه المعادلة منذ أن دخلت المرأة حقل العمل، وأصبحت منتجة مالياً على غرار الرجل، والعائلة أصبحت تقوم على دخلين بدلاً من دخل واحد كما في السابق. فهذا التحرر المالي ألغى حكماً سطوة الرجل وإذعان المرأة له، سيما بعد أن أصبحت قادرة على أن تكفي نفسها بنفسها عبر إنتاجها المالي وحتى تربية الأطفال في حال غياب الرجل. وكان نتيجة لتغير هذا المورد المالي تداعيات كثيرة على الصعيد العائلي والاجتماعي.

نلاحظ حسب الإحصاءات أن الخلافات الزوجية قد ازدادت وأضحت نسبة الطلاق خمسة أضعاف عما كانت عليه في السابق. أضف إلى ذلك أن سلطة الرجل على ضوء الواقع الجديد فقدت مبرراتها مما جعله يتشبث بالموروث عسى أن يستعيد بعض ما فقده. ولكن القوانين الجديدة التي سنت في أوروبا، أتت كلها في صالح المرأة حتى بالنسبة لرعاية الأطفال. كثير من النساء في مجتمعنا يخضعن على مضض لحياة زوجية فاشلة فقط كي لا يفقدن رعاية أطفالهن. فعلاقة المرأة مع أولادها علاقة عضوية خلافاً للرجل فالعلاقة رمزية مرهونة باسم الأب الذي يمنح الابن مكانته في السلالة العائلية.

لكن نلاحظ أن هذا الدخيل المالي في البنية العائلية خلق تموضعاً جديداً للمرأة جعلها أكثر حضوراً وأكثر فاعلية مما اضطر الرجل أن يتأقلم مرغماً ولو كان على حساب الفحولة الموروثة. فضعفت سلطة الأب بل أصبحت في بعض الأحيان أضعف من سلطة الأم. فالارتهان المادي الوجودي في علاقتها مع زوج لم يعد ذا فاعلية كما كان في السابق مما فتح الباب واسعاً لعودة المكبوت بشكل انتفاضة تتحكم بالعلاقة الزوجية وتحررها من دونية تجبرها على الطاعة، إلى ند لند لا

تخضع للموروث. ومن جراء ذلك تزعزعت سلطة الأب وتسطح نفوذه وأصبح مطلوباً منه أن يتعامل مع الزوجة بالتساوي متخلياً عن أنانيته السابقة وعن حقوق مكتسبة فقط لكونه رجلاً. مما لا شك فيه أن كثيرين من الرجال لا يستطيعون أن يتأقلموا مع هذا الواقع المستحدث مما يؤدي إلى نزاعات وصراعات وجودية تنتهي بالانفصال. وهنا نستطيع الاستنتاج أن دخول عامل المال كمورد إضافي كان له تأثير على صعيدين:

أولاً: مكّن المرأة من إلغاء الدونية التي نشأت عليها ومكّنها من التحرر من الطاعة التي كانت ملزمة بها منذ الطفولة (عندما كان يميز ما بين الأخ والأخت) وأضحت الآن تتمتع بحضور وشخصية جديدة يتوجب على الرجل أخذها بعين الاعتبار وإلغاء الدونية التي كانت تتحكم بنظرته إليها.

ثانياً: على صعيد الرجل، الحد من سلطته الفالوسية (أي القضيبية) التي كان يبني عليها امتيازات وحقوقاً موروثة لا يناقش بها.

المال موضوع رغبة

عندما يخرج المال من حقل تحقيق الحاجات الحياتية يدخل في إطار الطلب لتحقيق رغبات تخضع لجميع أنواع الهوامات من سلطة وجاه ورفاهية وموقع اجتماعي وتحقيق نزوات كانت إلى حد الآن في حكم المكبوت.

لذلك نرى أن جاذبية الرجل متاخمة للمال الذي يكتسبه أو للثروة التي يملكها مسبقاً. وهنا يصبح المال موضوع رغبة عند المرأة يدخل في إطار تكوينها النفسي بشكل مغاير لما هو عند الرجل.

فحاجتها إلى المال تدخل في إطار اقتصادي، يعوض عن دونية تلازمها مهما حاولت التحرر منها لأن المجتمع سواء كان شرقياً أو غربياً قائم على أساس النظام البطريركي والخلاف هو درجات وليس في المبدأ. لذلك رغم تحررها تبقى تحت حكم النظام البطريركي إلى أن يحصل انقلاب ويحل محله النظام الماطريركي. فهي في آن واحد جسد موضوع (objet) وذات أو شخصية (sujet) تتميز بالأنوثة على غرار الرجولة. فهي تتأرجح دائماً ما بين الشخصيتين لأن الفصل بينهما يؤدي إلى تشويه صورتها.

فالإغراء الجسدي هو مدخل إلى أنوثتها ولا يمكن اختزاله وإلا أضحت

موضوعاً استهلاكياً كما نراه في الإعلانات وصناعة أفلام البورنو. فالإغراء الجسدي مدخل إلى الأنوثة وليس نهاية لها. من هنا نفهم حاجة المرأة إلى من يصرف عليها بسخاء لكي يعزز أنوثتها دون أن يشيئها، لأن المال إن دخل من باب موضوع رغبة أي نقصان لوجود كما يحدده لاكان لا بد أن يأخذ مفهوم تعويض عن ضرر لحق بها سابقاً وبلسماً لجرح حصل لها بحكم قدريتها الجسدية. فحاجتها إلى الهدايا واللبس والتزين والتبرج هي من طبيعة أنوثتها وليس من باب التمظهر كما يتصور البعض ويحاولون تجريدها منها. وخير دليل على ذلك أهمية التعاطي بالمال مع المرأة، إن كثر أو قل فالنتيجة واحدة. وعلى سبيل المثال إذا وقعت امرأة على زوج مصاب بآفة البخل نرى أن النفور يحصل مهما كان موقع هذا الرجل الاجتماعي وفي أكثر الحالات يكون سبباً في الطلاق.

لماذا لا تتحمل المرأة الرجل البخيل؟ المرأة لا تكتفي بالعلاقات الجنسية لكي تعزز أنوثتها فالعطاء الجنسي رغم أنه يعوض عن نقصانها لفترة قصيرة من الزمن إلا أنه إذا اختزلت العلاقة بهذا المجال فقط فإنه يولد عندها إحباطاً ويثير جرح النقصان بعد أن كان خامداً ويؤدي إلى حالات عنف ونزاعات مع الزوج إذا لم يصاحبه مسلك مؤنس وعطاء يشعرها بالمشاركة والمساواة وبحضورها كأنثى. فالعطاء المادي يعني بالنسبة لها أكثر من قيمته. فإذا طلبت من زوجها مبلغاً من المال يصاحب ذلك طلب آخر وعربون عن الحب، فالرفض يشعرها بالذلة ويعيد إليها الإحساس بالدونية. والهدايا التي يغدقها الرجل على زوجته خاصة الحلي تتفاعل في نفسيتها قيمة تعزز أنوثتها وتسدل الغطاء على موضوع النقصان. فالتزيين بالحلية خاتماً أو سواراً أو عقداً أو جوهرة يسلب النظر ويصوبه إلى الموضوع الخارجي بدلاً من النقصان الداخلي الذي يأخذ قيمته من كون الموضوع المهدى يصطحب معه رهاناً على الحب الذي يعزز هذا النقصان فبدلاً من أن يكون مصدراً للدونية إذا به يعطي قيمة لها ومعزة، لأن الرجل إن كان يحبها ويغدق عليها فليس ذلك إلا لما هو نقصان عندها. فالاعتراف به كمصدر رغبة يتعمم على كل جسدها ويشكل صورة نرجسية تستأنس بها.

فالبخل لا يختزل بقيمته المادية ولكن يحمل في طياته إنكاراً لأنوثتها وشحاً في حبها. لذلك نرى أن هذه الآفة تنعكس سلباً على الطرفين فتبعد المرأة لأنها لا تجد في هذه العلاقة ما يعزز حضورها كأنثى. وعادة يؤدي إلى أفول الرغبة

والاكتئاب وإن رضيت فعلى مضض لأنه لا يوجد خيار آخر. الحقل العيادي يؤكد ذلك عندما تلجأ المرأة إلى المرض (somatisation) أو اكتئاب تجبر الزوج على صرف ما هو حريص عليه كبديل عن شحه لأنوثتها ويصبح في هذه الحالة المرض ملاذاً يمكنها من التعايش معه. لأن المرض هو دونية بديلة يدخل في إطار واجب صرف المال.

قد تلجأ المرأة في بعض الأحيان إلى الإكثار من صرف المال إلى حد التبذير. الملاحظ أن هذه الظاهرة تأتي في حالات تكون المرأة تعاني من قلق واكتئاب مرحلي تجهل مصادره. فالانصراف إلى الشراء وتبذير الأموال التي في حوزتها ينعكس عليها إيجاباً لأنه يعطيها قيمة من خلال المواضيع التي حصلت عليها. فهي بمثابة عملية علاج ذاتية ترتد عليها بتعويضات عما كان ينقصها في علاقتها بزوجها، سواء كان جنسياً أو عاطفياً. فقيمة الشراء من ألبسة أو مجوهرات أو مساحيق تجميلية تمكنها من رؤية شكلها من جديد في حلية تظهر محاسنها على اعتبار أن الجسد في حال حصل على قيمته الجاذبة والمغرية يعوض عن النقصان لأنه يحل مكانه كبديل فالوسي يتمتع بلمعانه وبريقه أمام الناظرين ويعزز نرجسية المرأة وحبها لشكلها. وهذه صفة أنثوية تعود إلى خمسة آلاف سنة في الآثار المصرية المكتشفة في الصعيد.

المرأة تتماهى برغبة الرجل وهذا الأخير يجسد على شكل المرأة موضوع رغبته. فإضفاء لمسات الحسن على جسدها والتنوع في المظهر يدخل في إطار قواعد لعبة التجاذب والإغراء التي ترضخ لمقاييس ومعايير خاصة بكل مجتمع وكل جيل. على سبيل المثال السمنة كانت تشكل صفة من جمال المرأة وهذا يعود إلى مدلول الرفاهية والثراء أما الآن فالنحافة هي الطاغية في البلدان المتحضرة لأنها تشير إلى تحكمها في الشراهة وإيحاء إلى إمكانية التملك بجسدها. وفي كلتا الحالتين يدخل المال كعنصر أساسي لإظهار محاسن الجسد سواء في اللبس أو في الطعام. من هذا المنطلق نستطيع القول إن علاقة المرأة بالمال هي علاقة عضوية تدخل في إطار إظهار أنوثتها ومحاسنها. أما المال كثروة ملصقة بجاذبية بعض الرجال فهو موضوع رغبة يمكنها بالإضافة إلى ما ذكرنا سابقاً أن تكون وسيلة تحقق لها هواماتها ونزواتها السلطوية أي الفالوسية القضيبية لأن السلطة ملحقة بالثروة وكذلك المكانة الاجتماعية.

إن الثروة بلمعانها وأضوائها المظللة تخفي العيوب وتزيد من أهمية المزايا. فالمرأة ترغب برجل ثري كي تتسلط على ثروته فيأخذ أهميته من كونه مصدراً أساسياً لتحقيق نزواتها. والقصص التي تروى للأطفال والأساطير حافلة بالأمثال على غرار سندريللا وغيرها. وحتى قصص مشاهير الأغنياء وعلاقاتهم مع النساء. على سبيل المثال المليونير الذي وضع إعلاناً ليختار شريكة حياته فتقدمت له عشرات الآلاف من النساء وقد أخرج فيلماً على شاشة السينما.

المرأة في سوق الإستهلاك

١- الإعلان

هذا ما نراه في الإعلانات الدعائية ترويجاً لبضاعة معينة، حيث أن أريج الليبيدو الذي يخرج من جسد امرأة شبه عارية يضفي نكهة إثارة إيجابية على السلعة المروج لها، أو عارضات الأزياء أو استعراض ملكات الجمال. وهذه كلها ظواهر مستحدثة تدخل جسد المرأة في السوق الاستهلاكي. القاسم المشترك بين المستثمرين وبين هؤلاء النساء هو استثمار الجسد كموضوع (objet) مجرد من كونه يحمل ذاتاً متكلمة (sujet) أي الجسد وحده مع التواطؤ المشترك هو الذي يحق له التعبير. يعبَر عبر تقاطع الجسد المتفكك عن طريق الإيحاء، لأفضلية نوع من الجوارب، أو من الأحذية أو لقبعة إلخ.. واذكر على سبيل المثال فتاة جميلة وذكية بعد أن حازت على لقب وصيفة ملكة الجمال أتت لمعاينة لأنها وقعت في أزمة بعد أن رفضت أن تدخل الدعاية، ولأنها رفضت أن يتحول جسدها إلى سلعة يتاجر به وتتحول إلى نوع من الروبو يتحرك حسب متطلبات المخرج الدعائي. وبعد أن دخلت هذه التجربة أصيبت بنوع من الاكتئاب ففقدت رونقها وجاذبيتها مما اضطرها إلى الاستغناء عن هذه المهنة واعتبرت أن جسدها كان حكيماً أكثر من عقلها فرفض ما كانت الأنا قد انغرّت به وضللتها عن هويتها الجسدية فرفض هذا الأخير (الجسد) الطاعة لها. فجمالها أصبح عبئاً عليها يوقع الآخر في كمين الإغراء بدلاً من أن ينفذ إلى ذاتيتها ولذلك لجأت إلى العلاج النفسي كي تحصل على المصالحة بين الجسد والذات (objet-sujet). كذلك الأمر مع فتاة جميلة تشتغل في الإعلام فكانت الأدوار التي تكلف بها متناسبة مع جاذبية شكلها (Look) والعمل يقتضي إظهار محاسنها أكثر من التوجه إلى ذكائها. فاضطرت بعد أزمة ذاتية أن تترك هذه المهنة

الاستعراضية وانطوت على نفسها وقررت أن تعمل في مهنة الكتابة ولو كانت تدرَ دخلاً أقل بكثير من السابق، لأن جمالها أصبح كذلك عبئاً عليها يضلل الآخر عن رؤية ذاتيتها وكفاءتها الفكرية.

هذا الفصل بين المرأة كذات (sujet) وكموضوع (objet) يحدد العلاقة بالطريقة التي تكسب بها المال. فإن كانت موضوعاً خسرت ذاتها وإن كانت ذاتاً عقلانية خسرت جاذبيتها وجزءاً من أنوثتها لأنها الإثنين معاً. يتراءى هذا الفصل بوضوح في مهنة كسب المال الأقدم في العالم كما يتردد وهو البغاء.

٢ – البغاء:

أصبح البغاء مهنة مصنفة كباقي المهن ترضخ لقانون الضرائب على الربح أي بوضوح أكثر تشريع الجسد كسلعة يتاجر بها. السؤال الذي يتبادر إلى الذهن ما هو الهوام الذي يتحكم بهذه المرأة كي تختار هذه المهنة لكسب المال؟

قالت الأولى إنها ذاهبة إلى الخليج لإعانة أهلها، وقالت الثانية بعد أن اعترفت بممارسة البغاء إنها اضطرت لدفع قسط الجامعة والثالثة لشراء خلوي والرابعة لشراء سيارة. وهكذا أصبح الجسد مورداً لإشباع الحاجات على حساب الرغبة علماً أن هذه الأخيرة لا ثمن لها.

الواقع بالرغم من أن هذا الشعار العام لبزوغ الرغبات الجنسية، أي انفصالها عن الطبيعة الحيوانية إلا أنه يبقى عالقاً من دون جواب. ما هو السر الذي يجذب الرجل كي يدفع حفنة من الدولارات إلى امرأة مقابل تسليم جسدها؟ وهنا تبدو الغرابة إذ أن هذا الجسد المسلم يخرج عن المفهوم الاجتماعي الذي يدعو إلى الحفاظ على حرمته.

إن الدافع المادي لا يشكل السبب الأساسي، فكثير من الفتيات يعشن في ضيقة مادية شديدة لكن لا يستسلمن لمهنة البغاء. والكسب المادي الذي تتقاضاه لا يعادل، مهما بلغ، الفعل الجنسي، بل تتقاضى المبلغ تعويضاً عن ضرر لحق بها. وهذا الضرر يعود إلى مصادر لاواعية تدخل في تركيبة هوام يسقط على الجسد في تصوره الحالي. فهو جسد مباح تلغى عنه الحدود الجغرافية المحرمة.

وأذكر على سبيل المثال زوجة كانت تطلب من زوجها مبلغاً من المال بعد كل علاقة جنسية، رغم أنها ليست بحاجة إلى المال. وتبين لي فيما بعد أنها عندما كانت طفلة كانت تسمع والدتها تردد أنها لولا كون زوجها رجلاً غنياً لما تزوجت به.

فعنصر المال يدخل في صلب التكوين العائلي وأضحى بالنسبة للزوجة فيما بعد طقوساً تمارسها مع زوجها لحفظ العلاقات الزوجية رغم أنها تحبه، لأن المال أضحى موضوع رغبتها، إذا ما اعتبرنا أن الرغبة هي رغبة الآخر (الأم بالمناسبة). إن المال كتعويض عن ضرر يخفف من ألم الجرح النفسي عندما تنتهي العلاقة نتيجة استعادة القضيب من قبل الزوج الذي يعيد إلى ذاكرتها ارتهانها به وفقدانه.

خلال حديث مع صديق اختصاصي بالطب الشرعي ومعالجة نفسية المومسات قال لي بالتأكيد أن ٧٥٪ من المومسات قد تعرضن في طفولتهن لسفاح الأب أو الأم أو في بعض الأحيان للاغتصاب الجنسي ما قبل المراهقة.

السؤال هنا: ما هو تأثير الحدث في نفسية المومس وكيف تفك حزام المحرمات عن جسدها؟

في الأساس إذا سلمنا منذ البداية بشهوة القضيب (الفالوس) وهي العقبة التي أوقفت فرويد في فهمه للمرأة نجد أن هذا المتخيل يظل يلاحق الفتاة في كل مراحل نموها الجنسي، ويشكل ضرراً وإعاقة في حياتها طالما لم تجد له حلاً.

وهذا الحل يأتي عن طريق دور الأب، فإذا استطاع هذا الأخير أن يعوض عنها، وذلك بالاعتراف بنقصانها وبمنحها الحب والحنان لأجل هذا النقصان فإنها تستطيع عندئذ أن تكتشف أنوثتها وتبدأ عملية حداد على «فالوس» الأب المتخيل. وقد لاحظت في العمل العيادي أن بعض النساء العصابيات يتحكمن بهوام الحصول على قضيب الأب عن طريق الكبت فلا يظهر إلا عبر الأحلام. وقالت إحداهن إنها حلمت بمشهد في وسط دائرة لعديد من الشباب في حالة انتصاب وتمارس الجنس مع كل واحد على هواها بعد أن تتقاضى منه حفنة من المال.

فهذا الحلم الذي يعبر عن هوام أتى جواباً على الأب الذي كان يهزأ دائماً من كبر ثدييها فسخر من أنوثتها مما سبب لها ألماً وخجلاً شديدين. فالحلم تحدٍ للأب، فإذا حرمها من الفالوس الأبوي فهي تستطيع أن تحصل على العديد من البدائل إضافة إلى المال كتعويض.

معنى ذلك أن هوام المومس قد يكون متواجداً عند العديد من النساء، مع حفظ الفارق بين المتخيل والفعل. الفتاة التي تتعرض للسفاح سيما من قبل الأب فإنها تصاب بصدمة نفسية قد لا تشفى منها مدى الحياة، ومن الممكن أن تتحول إلى مهنة البغاء كحل نهائي، لأنها قد فقدت النقصان الجسدي المؤسس لأنوثتها.

فالسفاح ينزع عنها صفة التحريم، لأن الأب في مثل هذه الحالة يستقيل من دوره كأب لكي يتحول إلى أحد عداد الرجال الذين يتناوبون عليها أي أنه يلغي موضوع اشتهائها الأولي وينقله من حقل تمني المتخيل الذي يتطلب الترميز إلى حقل الواقع. وهذا الموضوع الفالوسي لا يجد قيمته الدالة إلا في حالة غيابه وتحريمه. فدخوله عالم الواقع –السفاح– يقفل الطريق على التمني والحرمان ثم الحداد النهائي عبر حصول البدائل وهنا ينشأ عندها هوامان:

١ – هوام الترجل أي أنها تمارس الجنس عدة مرات مع عدة رجال كما لو كانت ذكراً وليست أنثى. والعضو الجنسي أي المهبل يصبح بمثابة القضيب المقلوب (Doigt de gant). ما يساعد على ذلك تكوينها السلبي الاستقبالي وانعدام الإحساس في المهبل أي غشاؤه مخدر.

٢ – كراهية الرجال ورغبة الانتقام منهم وعلى رأسهم الأب. هنا أشير خلافاً لما يشاع أن المرأة قد سلمت جسدها إلى رجل مجهول. وهذا صحيح جزئياً ولكن الواقع أنها قد شيئت جسدها بعد أن حولته إلى سلعة في سوق الاستهلاك بين العرض والطلب، وبالمقابل أنزلت الرجل من علیائه لكي تحوله إلى سلعة استهلاكية أيضاً وتشيء موضوع رغبته. فهو أضحى بعد المضاجعة فاقد الرجولية مختزلاً أو لا يساوي أكثر من حفنة من الدولارات، مشيئاً في النهاية كباقي الأشياء لا اسم له (عادة ما يعرف عن نفسه باسم مستعار) وهي بالنهاية تعكس امرأة لكي يرى نفسه في صورتها يخجل منها ولكنها تهزأ منه لأنها كانت متخفية وراء المرآة تراقب ما حدث كأنها طرف ثالث تعطي جسدها من دون ذاتها، وتسخر منه ومن فحولته التي تلاشت وأضحى مخصياً لا يساوي أكثر من بضعة دولارات يدفعها ويذهب لكي يترك المكان لغيره. أضف إلى ذلك أنها تحول الدونية إلى قوة لتقلب المعادلة بينها وبين الرجل. والمال في مفهومه الرمزي يحول هذه المعادلة الجديدة إلى واقع يدفع الرجل من جيبه لأنه هو كان السبب.

أخيراً، كل النظريات التي بنيت على دونية المرأة على أساس حكم مسبق متوارث عبر التاريخ، من أنها كائن ذكر ينقصه الفالوس. فالعنصرية التي يعاني منها المجتمع الإنساني بدأ منذ أن ظهر هذا التمييز بين الرجل والمرأة على أساس مخلوق ناقص فتعمم ذلك على باقي الأشياء بين الأبيض والأصفر والأحمر والأسود من حيث أن كل لون يعطي تمييزاً خاصاً لكل طرف يستطيع أن يصنف الآخر

بالدونية. ومنذ أن دخل المال في دائرة السلطة أصبح الحصول عليه يعطيه الحق بالانتقال من الدونية إلى الفوقية. والمرأة تسعى إلى المال لكي تغير هذه المعادلة سواء عبر التحصيل الخاص أو عبر جاذبيتها تجاه الرجل الثري لأن المال يدخل بالنسبة لها في موضوع رغبة سلطوية تتحكم بعلاقتها بهذا الرجل.